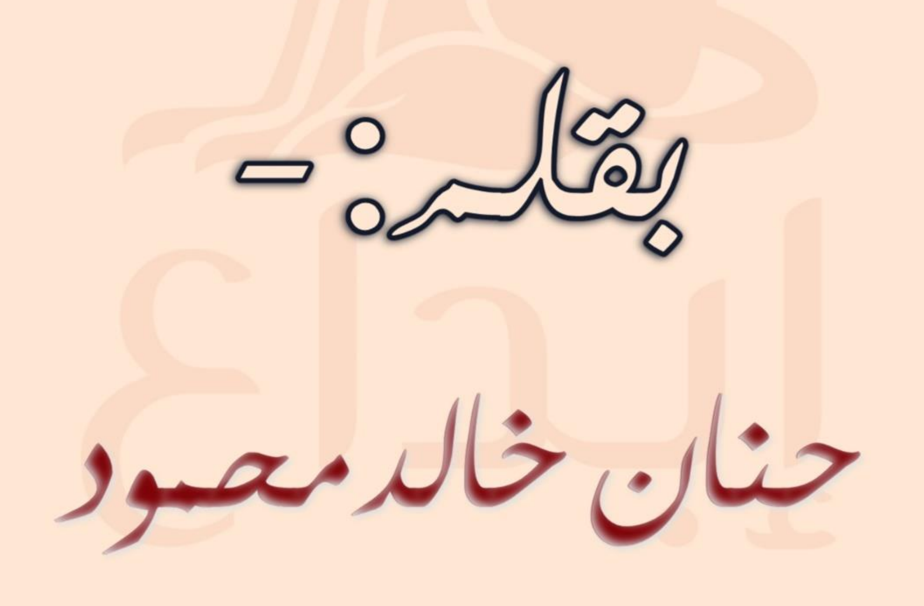

تحت ظلال
الزيزفون
حنان خالد محمود
ROYAL
إبداع
تدوين
Book 'n' Go

تحت ظلال الزيزفون





حنان خالد محمود

تصميم:

غلاف: فاطمة حمدي

داخلي: روان النمكي

تعبئة ورابط إلكتروني: وئام مدحت

فريق عمل





بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــداء

إلى من أوحى إليَّ بهذا العمل، وألهمني هذه الفكرة التي لم تكن فكرة عابرة البتة..

إلى مصطفى لطفي المنفلوطي.

،،،،،،،



المقدمة

تعد رواية تحت ظلال الزيزفون رواية فرنسية كتبها الأديب الفرنسي "ألفونس كار" وقد نالت إعجاب الكاتب المعروف بإحساسه المرهف ووصفه الدقيق، صاحب القلم ذو النغمة الحزينة، مصطفى لطفي المنفلوطي فأعاد كتابتها باللغة العربية، بأسلوبه البسيط وسرده الخاص المتميز عن غيره، ونُشرت تحت عنوان "ماجدولين"؛ لذا وبما أن هذا هو الجزء الثاني من هذه الرواية حسب تصوري، فينبغي قراءة الجزء الأول بشكل جيد قبل البدء بقراءة هذا الجزء.

مرحبا بك عزيزي القارئ، إن كنت من مُحبي الطبيعة والتوغل بين أشجارها، والإنصات إلى اللحن الدائم الصادر عنها الذي كان مصدر إلهام للموسيقي الفرنسي المشهور "بيتهوفن" أو حتى تطيب لك رائحة الزهور التي تملأ الطبيعة، فأهلا بك هنا بين أحضان الطبيعة.

إن كنت تظن أن الذكريات تفنى وتبلى بمرور الزمن؛ فأنت مخطئ في اعتقادك، وما عليكَ سوى التسليم لهذه السطور وبعدها ستعلم أن ذكرياتك لم ترحل عنك يوماً، ستهيج مشاعرك ويملؤك الحنين، ستتذكر كل شيء.

إلى الذين يبحثون عن السعادة دائماً فلا يعثرون عليها ولا يعرفون لها

سبيلًا أو طريقًا، مرحباً بكم بين أصدقائكم هنا.

حنان خالد

،،،،،،،



لحن الموت

التف الجميع حول فرتز حينما اشتد المرض عليه، وطلب منهم جميعًا الحضور.

فرتز: أين هي ماجدولين؟

برنار: آتية يا أبي، ولكن فيما تريدها؟ قل لي ما الذي تريده وسأُلبي طلبك على الفور.

فرتز: لست أريد شيئاً يا بني سوى قول الحقيقة قبل أن تمتد أظافر المنية إليّ لتفترسني.

نظر إليه برنار وجوزفين واستيفن بدهشة وتحدث استيفن: أي حقيقة يا جدي؟ ها هي أمي لقد جاءت.

فرتز: سامحوني أولا قبل أن أقول لكم ما خبئته عنكم طوال السنوات الماضية.

حدقت به العيون في دهشة، واعترى عقولهم أنه ربما هذا أثر كبر السن على عقله.



ولكن فرتز تحدث وقال: ربما أبدو لكم شيخًا عجوزًا، ولكنني لم أفقد عقلي بعد، سأروي لكم قصة اليوم، تلك القصة التي لطالما خبئتها عنكم دون سبب.

شرع فرتز في الحديث رغمًا عن الألم الذي ينهش خلاياه ويتغذى عليها، ومن بين شهقات ألمه انساب صوته المنهك هامساً: في أحد الأيام، كان هنالك شخص تعجبه حياة الشعراء، يفرح إذا ما تأمل في الطبيعة ويحزن لما يحدث فيها، لم يحتضنه والده في الصغر ولم يعجبه أمره وحاله هذا، وأصبح يُسمعه دائماً أنه لا خير له ولا سعادة في هذه الحياة التي يود أن يحياها، بل بلغ به الأمر أن طرده من بيته، فمضى يُفتش عن بيت له يستطيع الإقامة فيه، ورحل من بلدته إلى بلدٍ آخر.

في ذلك البلد وجد بيتًا يملكه شيخ كبير، يُدعى الشيخ مولر طلب منه أن يستأجر غرفة صغيرة في أعلى المنزل، فوافق الشيخ مولر لأنه لم يكن يسكن البيت إلا هو وابنته



ماجدولين، كانت ماجدولين ترى فيه شخصًا شقيًا كئيبًا، كلما مرت عنه وجدته ينظر إلى كتاب في يده، نفس الكتاب كل مرة ونفس الصفحة، لا يقلبها ليقرأ أخرى، مرت الأيام وأصبح استيفن ذاك صديقًا للشيخ العجوز مولر ويحب الحديث إليه وإلى ابنته، حتى خفق قلبه بالحب وقلب الفتاة أيضاً.

كانت أشجار الزيزفون هي الشاهد الوحيد على الحب الذي ملأ قلبيهما، فكانا يجلسان من شروق الشمس وحتى مغيبها يتسامران، وكان استيفن يكتب لماجدولين في اليوم الذي لا يراها فيه، حتى أدرك الشيخ مولر ما وقع في قلب ابنته تجاه استيفن ولم يرد لها أن تحيا حياة الأشقياء، فطلب من استيفن أن يترك البيت.

كان الأمر بالنسبة لاستيفن وماجدولين أصعب ما يكون، فلقد شيّدا أحلامًا كثيرة لأجل بقائهما معا، اتفقا على الزواج بعدما أصبح الحب هو حبل الوصال بينهما، ولكن

كل شيء بنياه قد تهدم، فمولر لا يريد لابنته الشقاء، وهو يعلم أن حياتها مع استيفن ستبلغ ذروة الشقاء، ولن يجداً سببًا من أسباب السعادة بين أيديهما، فوعدت ماجدولين استيفن أن تنتظره حتى يعود حاملًا بين يديه المال الذي سيجعل والدها يوافق على زواجهما، ورحل استيفن ليبحث عن عمل، وأصبحا يتصلان ببعضهما عن طريق الخطابات والرسائل، كل منهما يكتب للآخر فيعينه على ما يشعر به من حزن، وبما أني لن أستطيع أن أروي لكم بقية هذا الحديث، فهذه رسائل ماجدولين واستيفن اقرأوها وسيتبين لكم كل شيء.

بعد صمتٍ طويل، ومحاولة من الجميع السيطرة على زمام الأمور وفهم ما أراد فرتز قوله، لم يتوصل أحد منهم إلى شيء، ودلهم فرتز على المكان الذي خبئ فيه هذه الرسائل، وهنا أصدرت الحياة لحنًا غريباً؛ إنه لحن الموت، تساقطت أوراق الشجر وتبعثرت على ظهر الأرض، غردت العصافير تغريدات حزينة وبكت السماء فلم تتوقف عن البكاء.

في هذا اليوم، انحنت أشجار الزيزفون تحية لهذا الرجل العظيم، وودعته الأرض والسماء، وحزن لرحيله الكثيرون، ولكنه كان فرحًا بأن الوقت قد حان أخيراً ليلتقي بصديقه استيفن الذي ودعه منذ زمن، ليلتقي بمحبوبته التي فارقت الحياة قبله وتركته وحيدًا، انتهت حياة رجل عظيم كُتب عنه في كثير من الكتب، فبكت الحروف وفاض الحزن بين السطور، واعترى الأعين سواد حالك من كثرة الدموع، وكأن القلم قد سطر بحبره الأسود على الوجوه.

بعد مرور عدة أشهر...

جوزفين: استيفن هل تذكر تلك الخطابات التي حدثنا عنها جدي قبل موته؟

استيفن: أجل.

جوزفين: أريد قراءة هذه الرسائل، أريد أن أعلم من ماجدولين واستيفن.

استيفن: ولكني لا أذكر المكان الذي حدده لنا جدي.



جوزفين: سأذهب إلى غرفة جدي وأبحث هناك عن هذه الرسائل.

استيفن: ولكن ألن تخبري أبي أولاً؟

جوزفين: لا أظن أنه سيتذكر شيئاً بخصوص هذه الرسائل، كما أن الأمر لن يزعجه؛ لذا لا داعي لأن نحدثه في هذا الأمر.

استيفن: حسنًا كما تريدين.

في اليوم التإليّ دخلت جوزفين غرفة فرتز، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تدخلها بعد وفاته، ما إن أمسكت بمقبض الباب وأدارته حتى شعرت برعشة تسري في جسدها النحيل، ولكنها تغلبت على هذا الخوف ودخلت الغرفة.

كل زاوية هنا مملؤة برائحته، هنا كان يرقد قبل موته بلحظات، وهناك كان يجلس ليقرأ الصحيفة كل يوم، خنقتها عبراتها فتركت عينيها تدمع، وذرفت الكثير من الدموع حتى هدأت تلك النيران التي اشتعلت في قلبها،

ذكريات جميلة لها مع جدها، أول من حملها بين يديه وداعبها، ومنحها أكثر الأسماء قرباً لقلبه" جوزفين" أول من أحبته وأول من لمس قلبها بيده الحنونة، لا أظن أن هنالك شخص في هذا العالم بإمكانه أن يجعلني أشعر بالدفء والطمأنينة سوى جدي.

تحركت في أنحاء الغرفة لتبحث عن الرسائل، وما إن عثرت عليها حتى جلست وحملتها بين يديها لتقرأها.

من ماجدولين إلى استيفن؛ اصطبغت السماء باللون الأحمر وجاءت ساعة الغروب فمكثت أتأمل هذا المنظر البديع، وأحدث نفسي إن اللون الأحمر مصحوب دائماً بالحزن، فما من جندي يقاتل في الحرب حتى قُتل وتلطخت ثيابه بالدماء، وساعة الغروب التي تمثل ساعة الوداع في كثير من الأحيان، فتحزن النفس لدى رؤيتها هذا اللون، لن أطيل عليكَ حديثي ولن أبدأ كلامي بعبث كما أفعل عادة، لأخبرك أني رأيتنا في حلمي، وكنا نرتدي ثيابًا بيضاء



مرصعة باللؤلؤ، فزادتنا جمالًا، أمسكت بيدي واصطحبتنِ إلى مكان لم أعرفه، ولكنه كان جميلاً للغاية، مملوءاً بالزهور، وقطفت زهرة ذات لونّ أبيض وأهديتني إياها، فقطفتُ زهرتين؛ واحدة بلون أبيض، وأخرى بلون أحمر، فوجدت الدهشة بادية على وجهك وكأنك تسأل لِمَ هذين اللونين؟ فقلت لك: إن الأحمر يدل على الحب، والأبيض يدل على النقاء وبهما معاً يكون الحب نقياً، لذا أحببت أن أهديك زهرتين بهذين اللونين، فابتسمت لي وصنعت من كلتا الزهرتين إكليلاً وضعته على رأسي، وأطلقت لسانك يتحدث إليَّ بكل فصاحة قائلاً: أما الحب فهو لكِ وهو نقيٌ ليشبهك، لذا أنتِ أحق بهما مني عزيزتي.

حينها استيقظت من النوم وبقيت أبتسم ببلاهة طوال الوقت، لقد كان هذا الحلم كافيًا لجعليَّ سعيدة جداً، فلا أدري متى نتقابل مرة أخرى، ومتى تبدأ يومك بالنظر إلى وجهي والتغزل بي، ترى متى أستيقظ فأجدك بجانبي مبتسماً، وتضع قبلتك الدافئة على جبيني؟!

من استيفن إلى ماجدولين؛ السلام لقلبكِ الدافئ، أتحسبين أن كلامكِ عبثًا يا ماجدولين؟

لم تكتبي إليَّ شيئاً عبثًا قط وإن تظاهرتي بهذا، أعلم جيداً لم تحدثتِ عن ساعة الغروب والحزن الذي يعتري النفس حينها، آخر لقاء لنا كان في مثل هذه الساعة، أذكر هذا جيداً، وأذكر كيف بكينا وثارت أنفسنا حد الشجن، ويتبع ساعة الغروب الظلام الطويل الذي يلازمني فيه كثيراً الأرق، وأجلس لأتحدث إلى نفسي، وأذرف من العبرات ما أبرد به الشوق والحنين في قلبي حتى تجف مقلتاي من كثرة الدمع، أتمنى لو أننا بقينا معاً ولم تفرقنا هذه المسافات ولم يُفرق والدك بيننا، لو أن أمي بقيت على قيد الحياة وأغدقت علينا أنا وأخي من حنانها، لو لم يعاملنا أبي بقسوة، لو لم يسخر الجميع من الحياة التي رسمتها لنفسي، لو سمع الجميع الموسيقى التي أعزفها وصفقوا لي بدلاً من أن يسخروا مني، ربما لو حدث كل هذا لما كنت أبكي الآن، ولكنه الشقاء يا ماجدولين.

هذه بضعة أشياء أعرفها وتبكيني وحدي، ولكن بعد هذا الليل الحالك؛ دائماً ما يأتي النهار وتشرق الشمس، فتمدنا بالدفء والنور، يتبع حرقة الليل راحة وهدوء فإن كانت ساعة الغروب توحي إليك بالحزن فانظري ساعة الشروق وتأمليها، واكتبي لي ماذا أوحت إليك، والسلام.

من ماجدولين إلى استيفن؛ تأخرت في الكتابة إليَّ هذه المرة يا استيفن، ولا أعلم ما السبب الذي جعلك تقلع عن الكتابة إليَّ، ولكن الأفكار التي تراودني في غيابك تكاد أن تقتلني، أتخبط بين كل فكرة وأخرى، وينشغل عقلي ولا يتوقف عن التفكير، حتى أظن أني عندما أصدمه بشيء ثقيل قد يتوقف عن التفكير.

أقاوم بكل ما بداخلي من قوة، ولكني أسقط ويتهاوى جسدي على الأرض فلا تحملني قدماي حتى أقف من جديد، ولا أستطيع مد يدي للتشبث بشيء ما حتى أقف من جديد، لن أطيل عليكَ شكواي أكثر من هذا، رغم أن



هذه الأفكار تفعل بي أكثر مما حدثتك عنه، تأملت ساعة الشروق كما طلبت مني؛ فوجدتُ فيها ضوءاً بعد ظلام، ونهارًا بعد ليلٍ طويلٍ يتألم المرء فيه، فحدثتني نفسي أنه لربما جاء بعد فراقنا هذا شيءٌ تمنيناه كثيراً؛ كأن يجمعنا بيتٌ واحدٌ ونبقى معاً للأبد، أو حتى تفرقنا تلك الساعة التي تأتينا فيها المنية، الأمر كله ينتهي بالفراق يا استيفن!

أود أن أخبرك أني اشتقتُ إليك كثيراً، ولحديثنا الذي لا ينتهي تحت أشجار الزيزفون، وتأملاتنا الطويلة التي لا تنتهي. اشتقتُ إلى كل ساعة التقينا فيها، وإلى كل يوم قضيناه سويًا نحلم بمستقبلنا، وكم كنا سنبلغ من السعادة حينما ينتهي بنا المطاف ونحن معاً.

اشتقت إلى كل شيء كان يجمعني بك في السابق، اشتقتُ لرؤيتكَ يا استيفن، أرجو ألا تتأخر هذه المرة أيضاً في الكتابة إليَّ وألا يطول صمتكَ، والسلام على قلبكَ الدافئ.





من استيفن إلى ماجدولين؛ السلام على قلبكِ عزيزتي أما بعد:

لم أتأخر في كتابة رسائلي إليك، ولكن ثمة أمور كثيرة حدثت منعتني من الكتابة إليك، لقد أتاني خبر موت أخي ففوجئت بهذا وحزنت لأجله حزنًا عظيمًا، فلم يكن لدي أحد سوى أخي بعد وفاة أمي، لم يكن لدينا شاغل إلا أنفسنا، كل منا يهتم بالآخر ويحتضنه حتى يُزيل عنه الشقاء والجفاء، حتى أبي لم يُفكر بما قد يحدث لنا ولم يغدق علينا بحنانه كما كانت أمي تفعل معنا، ولكنه انشغل بنفسه وذهب ليتزوج من أخرى، والآن يبحث لي عن فتاة من عائلة غنية لأتزوجها، فنحيا في كنف الحياة بسعادة.

ولكني لم أوافقه وتركتُ كوبلانس بأكملها، وذهبت إلى مدينة أخرى، وها أنا الآن أبحث عن عمل لي فيها، حتى أستطيع أن أقنع والدكِ بالموافقة على زواجنا.



أذكر أشجار الزيزفون، وأذكر تلك الليلة التي سهرنا فيها معاً تحت ضوء القمر نحلم بمستقبلنا وما نريد أن نفعل فيه، ببيت حوله بطاقات بنفسجية اللون التي تحبينها، وغرفة باللون الأزرق تجمعنا سويًا.

وأخرى لأطفالنا وحوض يحتوي على أسماك الزينة، حوله سياج كبيريحمي أطفالنا من الوقوع به، أذكر كل شيء يا ماجدولين، لم أغفل عنكِ أو عن التفكير بكِ للحظة، فلا شيء يعينني في وحدتي إلا أنتِ وما تكتبين إليَّ، اكتبي لي يا ماجدولين، ولا تتركيني وحيدًا يخنقني شعوري بالوحدة، فهذا شعور قاتل يا ماجدولين.

من ماجدولين إلى استيفن؛ وجدتُ عصفورًا أبيض اللون واقفاً على الشجرة التي حفرت اسمي عليها، فتأملته لعدة دقائق عن بُعد، ومن ثم جال في خاطري أنه ربما يحمل إليَّ رسالة منك، فاقتربت منه ومددتُ كفي إليه فوقف على راحة يدي، وراح ينظر إليَّ كما أنظر إليه، انتظرتُ طويلاً



وأنا أحمله بين يدي حتى يبلغني إن كنتَ بعثت إليَّ برسالة معه أم لا، فلم يتحرك ولم يلبث حتى غرد تغريدة طويلة لم أفهمها، ولكن أُذني استحسنتها ووقعت في قلبي موقع الكلمة الجميلة التي تُحيي الألباب الواهية، فوجدت قلبي يرتجف من السعادة التي غمرته، وأحسست لوهلة أن هذه السعادة ليست أبدية، وأدركني الحزن مرة أخرى، حينها تذكرت قول صديقتي سوزان ذات يوم حينما قالت: أنتِ شقية يا ماجدولين، والشقاء أمر مكتوب عليكَ فتوقفي عن البحث عن السعادة. حزنت كثيراً لدى سماعي هذا الكلام حينها، ولكن اليوم أدركت أنه كان لديها الحق فيما قالته، لا تؤاخذني فإني قد غفلت عن سؤالك، هل أنت بخير الآن؟ تُرى هل ذهبت عنك الحمى؟أريد أن أخبرك أن الشوق قد بلغ ذروته في قلبي، تُرى هل تشتاق إليَّ مثلما أفعل؟

بين آهات الروح الصادرة بعد الفراق، وأنين القلب بعدما يتمزق تُولد الأفكار المميتة، ومن جوف الحزن ورحم المعاناة،

دائماً ما يولد شيء داخلك يُحركك نحو الطبيعة للتأمل فيها، وتبحث عن كل ما تريد داخلها، وإن في الطبيعة لجمال وآيات كلما توغلت فيها علمت بحسنها، والتمست طريقًا واضحا للسعادة.

عليكَ أن تفتش عن السعادة في كل مكان، بين الأشجار وبالقرب من رائحة الأزهار التي تطيب لها النفس، على حافة الأنهار وعند تلاطم الأمواج، دع الهواء العليّل يصافح وجهك، وتأمل صورتيْ الشروق والغروب، وأنصت إلى صوت الرياح فهو يحمل معه معنى من معاني السعادة، التمس في طريقك الحب فلا سبيل للسعادة سوى الحب، عانق السماء كعصفور صغير وغازلها كي تُمطر، ضع نفسك بين سطور يملأها الحب ويفيض عنها، حينها ستجد

السعادة. عدة رسائل تحمل فلسفة الحزن والحب بداخلها كتبتها ماجدولين إلى استيفن وأرسلتها له دُفعة واحدة.

عزيزي استيفن؛ هذه عدة رسائل كنتُ قد كتبتها قبل أن ألتقي بكَ، وقررتُ الاحتفاظ بها حتى يأتي من يخفق قلبي بالحب لأجله، وأرسلها إليه، حتى جئت أنت، وها هي لك.

أيها القلم أمددني بقطرات من حبرك الذي ينفد، واجعله اليوم فياضًا، كلما نقصت قطرة أمددني بقطرات حتى أفرغ من كتابة هذه الرسائل، أيها البحر الهادئ اجعل أمواجك اليوم ترتطم وتهيج حتى تُصدر تلك السيمفونية العذبة التي يُفضلها الحبيب، أيتها الرياح اشتدي اليوم وكوني إعصارًا مهيبًا تخافه كل القلوب سوى قلبي وقلب الحبيب، حتى يُسارع في ضمي ويحميني من إعصارك، أيتها السماء اجعليّ غيومك تتلبد وتتكاثف بعضها فوق بعض، وامطري علينا ماءً مباركًا حتى نعلم أن رب الكون قد بارك لنا، أيها القمر لن أطلب منك شيئاً سوى الإنصات إلى مناجاتي فإني قد



اشتقتُ إلى محبوبي، أتعلم أيها القمر؟ إنها لكلمة واحدة
لكنها كافية لإعطائي كل همة تنقصني حتى أكتب، لا أعلم
حتى الآن سبب حبي له، ولكن أعلم أني أحبه حباً أبدياً
سرمدياً، أيها القمر أنت لا تعلم كيف خرجت من فاهُه
تلك الكلمة التي جعلتني أزداد عشقًا وشوقًا، عندما سمعت
تلك الكلمة باتت تتزد في قلبي كل لحظة، وبات صوته
المفضل لدى قلبي، وأذني لا تود أن تسمع أي ترددات
صوتية سوى تردد صوته فقط، أيها القمر أنت لا تعلم جمال
الصوت الخارج من ثنايا أحباله الصوتية ويهمس في أذني
"أحبك"، أيها القمر إن الحنين بداخلي يزداد، لا تقل لي
إنني أُفرطت في الحنين؛ لأنه هو من طلب مني الإفراط في
الحنين والإسراف في الاشتياق، أيها القمر إنه الروح إذا ما
أصابه ألم تتألم له روحي، وإذا ما اشتكى من شيء ما ألم بي
الضيق، ووددتُ لو كان الأمر بيدي فأُذهب عنه شكواه،
أحبه بروحي وأنت تعلم أيها القمر أن حب الأرواح لا
يفنى، أيها القمر أبلغه مني السلام وقل له إني أشتاق لعناق



تتناشب له الأضلع، وقل له أيضاً إني أود العيش معه في كنف الحياة دون أن يُصيبنا الفراق.

تلك هي أولى الرسائل التي كُتبت، ولكنها لا تعبر عن كامل حبي لك يا عزيزي، هنالك بعض الأشياء أُفضلُ أن تبقى مخبئة داخلي حتى نلتقي وتلمس قلبي فتعلم كل شيء، أعلم أنك ستقرأ كلامي هذا، وأعلم أيضاً أنك وضعت كامل ثقتك بي حتى أستطيع إنهاء هذه الرسائل، ولكن اسمح لي أن أقول لك شيئاً، إن كنت تظن أنك بعد قراءة كل تلك الرسائل ستعلم كل الحب الذي أجمعه لك في قلبي، والوجداًن الذي توغل داخلي أعتذر بداية؛ لأنك مخطئ!

،،،،،،،



الرسالة الأولى

مرحبا أريدك أن تعلم أنك الوحيد الذي مررت على قلبي ولم تجعله مُرًا، هنالك قانون ينص على "من أعاد قلبًا للحياة بعدما كان مدفوناً تحت بقاع الأرض فإن هذا القلب يصبح ملكٌ له" وبما أنك الشخص الوحيد الذي استطاع مسح الخوف من قلبي وصدري، وأعدت قلبي للحياة من جديد بعدما أهلكه الحزن والألم، فقلبي ملكاً لك، لا أدري كيف وقعت في حبك ولأي سبب أحببتك، لكني أعلم جيداً أني أحبك، حاوطني أبي منذ الصغر ووضعتني أمي نُصب عينيها وقاما برعايتي وعلماني كل شيء، إلا شيئاً واحدًا وهو ألا أقع بحبك ونحن بعيدان تفصلنا المسافات التي أمل أن تنكمش يوماً ونلتقي، مررت بمراحل عديدة، وفي كل مرحلة جديدة كانت الحياة دائماً ما تقابلني بصفعة جديدة تجعلني أتألم، تذوقت الحزن مرارًا وتكرارًا حتى أني كنت

أظن أن قلبي لم يعد قادرًا على النبض من جديد، وأن روحي قد تركتني في هذا العالم البائس ورحلت عني،

قاومت كثيراً حتى أقف على قدميَّ بعد كل صفعة، لكني كنت أسقط مرتطمة بالأرض متهاوية كمن سقط من أعلى جبلٍ أيهم، كنت أشعر وكأن قدمي قد بُترت ولن أستطيع الوقوف وتحمل المزيد، وبات عقلي مشوشاً بكثير من الأفكار المخيفة، وباتت الكوابيس المزعجة تراودني كل ليلة، أستيقظ منها صارخة لا أريد أن أعود للنوم مجددًا، لكن في منتصف هذه الأشياء المؤلمة؛ أتى حبك كشعاع من ضوء الشمس، أضاء الظلام الذي خيم على قلبي ومسح تلك العتمة التي احتلت ملامحي، وأشرق كل شيء من جديد كما تشرق الشمس كل يوم لتنير الحياة وتذهب بعتمة الليل، وإلى أن نلتقي سأحبك، سأتعلم جيداً كيف أقول لك أحبك عندما نتقابل، من الممكن أن أقف أمامك مرتبكة وأشعر بشيء من الاضطراب داخلي، وسيزداد هذا الاضطراب إذا وجدتك تنظر إليَّ، ولكنك ستجد عينيَّ



تبوح لك بالكثير والكثير، بينما يتوقف لساني عن الكلام،

وإن لم يفعل فهو سيتلعثم بالتأكيد،

أنا أعلم هذا جيداً وعليكَ أيضاً أن تعلم أني فقدت الكثير والكثير في حياتي، ولا أريد فقدانك فأنت كل ما تبقى لي، وأنت كل ما أملك.

''''''''



الرسالة الثانية

وقع في نفسي شيءٌ ما لم أعرف ما هو ولم أعرف كيف أُفسره، لكنه جعل قلبي يرتعد ويرتجف، لا أدري إن كان يرتجف خوفاً من خطب ما، أو من شدة الحب الذي وقع به، فتحركت يدي وأمسكت بالقلم حتى يكتب هذه الرسالة إليك، فما لبث أن شعر بحزني المسترسل في الكلمات التي يكتبها، والحروف التي يخطها وهو يسمع صوت أنينها ويرى العبرات تنسكب من بينها، إني الآن أشعر بالحنين يتوغل داخلي ويصدر صوتا كحفيف الشجر، أشعر بما يشعر المغترب من حنين لوطنه وأهله، فأنت الأهل والوطن أيها الحبيب، أيها الحبيب إني كلما أخذني الحنين إليك وجرني وراءه، أشعر وكأنه يجر المسافات وراء الوراء، أيها الحبيب؛ في رسائلي أنت الملهم الوحيد لكتابتها، وفي نفسي أنت وأنا وبيننا الحب، وفي الترددات القابعة في ثنايا أحبالي



الصوتية أنت العشق والمعشوق، وفي قلبي أنت كل شيء ولك كل شيء،

وفي عقلي أنت الوحيد القادر على تهدئة أفكاره الرثة البالية التي تسيطر عليه، من لساني يخرج الكلام شاقًا طريقه إليك يخبرك ببعض ما يُخبئه قلبي لك من شوق وحب، أما الحب فلقد أخبرتك عن حبي لك وكتبت لي أني أحبك، ولكن بالرغم من كل هذا فأنا لم أخبرك عن كامل حبي لك، وإن التقينا لن أستطيع التفوه به لكني عيني ستخبرك كل شيء، وأما الشوق فإني اشتقت للقياك، اشتقت لعناق وقبلة، فمتى نلتقي وأخبرك أني أحبك؟ متى نلتقي وتقرأ لي بعض الكتب وأغني لك؟ متى نلتقي وتنسى حزنك وتضمني؟

،،،،،،





الرسالة الثالثة

ليست كل الرسائل يحملها ساعي البريد؛ فهنالك دائماً بعض الرسائل التي لا تُرسل، وليست كل الرسائل يتوجب على ساعي البريد أن يُوصلها، فرسائلي إليك يتوجب عليَّ أن أضعها بين كفيك حتى أطمئن إذا غادرت روحي هذا العالم البائس أنك ستتذكرني وسأُخلد في ذاكرتكَ للأبد، كتبت إليك رسالتين وهذه الثالثة أرجو أن تقرأهن جميعاً والابتسامة تداعب شفتيك.

أما بعد فإني لا أعلم متى تقرأ هذه الرسالة ومتى يأتيني جوابك، لكن عندما أبعث إليك برسالة ما فإن قلبي يعقد صلحا مع الانتظار–بالرغم من كونه لا يطيقه– حتى يأتي جوابك، حينها أهرول بحثاً عن رسالتك تاركةً جميع الرسائل التي تصلني، وأفتحها بلهفة وشوق حتى يقرأ قلبي قبل عيني كلامك فيحلق فرحاً، أعلم أني أهدرت كثيراً من الوقت في

الماضي حتى أخبرك أني أحبك، لكن من الآن فصاعدًا ستقرأها في كل رسالة أُرسلها إليك، ينتابني شعور بالعجز ويداهمني في كل وقت أشعر بحزنك وألمك فيه فأتمنى لو كنتُ إلى جانبك؛ كي أحتضنك وأخبرك أني معك دائماً، فتبتسم وتضع قبلة على شفتيّ وتخبرني أنك تُحبني أكثر من نفسك، مع أنك أعطيت نفسك كثيراً من الحب ولم تظلمها، فيتبعثر الكلام الذي أمضيت وقتاً طويلاً أرتبه في ذهني، لكن عيناي تظل متشبثتان بعينيك وكأنها تريد أن ترى نفسها مثلما تراها أنت يا عزيزي، كنت أحسب أن هذا القلم الذي أكتب به إليك ما خُلق إلا لوصف الحزن ومذاق الخذلان وسرد الأوجاع، وأن تلك الحروف التي تُكتب كالجماد لا تتنفس ولا تشعر بأي شيء، حتى وقعت في حبك وعلمتني كيف أصنع من ثمان وعشرون حرفاً خطاباً طويلاً فرأيت القلم وهو يكتب بحبرّ لا ينفد، ليس لأن ذلك الحبر من مداد البحر بل لأن الحبر هو ذلك الدم الذي ينزفه قلبي، وشعرت بالحروف تتنفس وتبكي فرحاً



أني أخبرتك بحبي لك، لا تغضب إذا ما كررت على مسامعك نفس الأسئلة الخرقاء في كل مرة،

لا تنزعج إن أخبرتك أني مصابةٌ بحمى التفكير ولا أستطيع التحكم بأي فكرة تعبث بعقلي، لا تتركني إن أخبرتك أن تفعل، لأنك تعلم أن ما أتفوه به في وقت غضبي عكس ما أكنه لك داخلي، نسيت أن أخبرك أني أحب سماع صوتك من حين لآخر، حتى وإن لم تتحدث وبقيت صامتًا فإني أعشق سماع صوت أنفاسك المضطربة، أعلم أن رسالتي قد طالت هذه المرة لكنك تعلم أني ثرثارة جداً، ما رأيك لو تركت كل هذه الترهات وأخبرتني، هل تبتسم لرسائلي كما أفعل؟!

،،،،،،



الرسالة الرابعة

بعض الرسائل أحرقها بعد فراغي من كتابتها بثوانٍ معدودة، وأخرى أمزقها وأفضل ألا أُرسلها إليك، لا أعلم السبب الذي يدفعني إلى فعل هذا، لكن ثمة شعور غريب يراودني أني أهدر كثيراً من الوقت في كتابة بعض الرسائل إليك، بينما أنت لا تهتم.

عندما أكتب لك لا أكتب ما يُمليه عليَّ قلمي كما أفعل عادة، بل أكتب ما يمليه عليَّ قلبي، فيخبرك تارةً كم هو يحبك وتارةً يعتذر إليك عن سوء قد بدر منه، وتارةً يُعاتبك على ما تفعله به، واليوم يريد أن يعاتبك على بعض الأشياء وأعتذر مقدماً إن أزعجتك بكلامي البغيض الذي لا أهمية له، لكن قلبي قد ساء حاله بسبب الكتمان، هنالك بعض التراكمات فأنا لا أحزن وأكتب إليك رسالة مثل هذه لسبب واحد فقط بل لعدة أسباب، أشعر في بعض الأحيان



أو في كثير من الأحيان أني آخر شخص قد تهتم به وتشتاق

إليه، هذا الشعور يجعلني أبكي كثيراً من الوقت، وتؤكد

أنت لي صحة ما أشعر به عندما أبعث إليك برسالة اشتياق

أو اطمئنان فلا أجد منك أي رد على رسالتي، فأبعث

بأخرى وأخرى لكنك لا تهتم، فتُخلق بعض الأفكار المميتة

وتعبث بعقلي وتنهشه فيؤلمني عقلي كثيراً، وأصاب بالحمى

وأبيت الليل في حالة من الهذيان ولسان حالي ينطق ويقول

أشتاق إليك، لا تحسب هذا شكاً بك، فأنا أعلم جيداً أن

مبدأ الشك غير مسموح به في الحب، ولكنك تتركني

لظنوني فتفعل بي ما تشاء، تغيب عني بضعة أيام لا أعلم أي

شيء عنك، أشعر فيها كما يشعر المحتضر، وينتابني شعور

أنه ربما تُقبض روحي الآن فأرسل إليك رسالة بها "حسنا

إني أحتضر، لقد اشتقت إليك" أنت لا تعلم ما أعانيه من

سوء وألم في غيابك وكما يقولون ما خفيَ أعظم، أتدري

كم يكون الرضيع متشبثاً بأمه؟ وكيف يصعب عليه فراقها

عند الفطام؟ أتدري شعوره وهو يبكي بعد الفطام لشوقه



لأمه؟ لم أجد أقسى من هذا الشعور حتى أصفه، ولو وجدت أقسى من شعور طفل يبكي لأنه فارق أمه لكان هذا شعوري أنا أثناء غيابك عني، لا تنزعج من سوء رسالتي هذه المرة فكل ما أرجوه أن تنشغل بي لا بغيري، أريدك أن تملأ عقلك بي كما أفعل، أريدك أن تعلم أني أحبك، أحبك في كل وقت أحبك حتى وإن غبت عني، أحبك للأبد أحبك وأنا أحتضر.

،،،،،،،



الرسالة الخامسة

ممسكة بقلمي ناثرة بعض الحروف على الورق الملقى أمامي، أبث إليك بداخله شكواي وحزني وفرحي، وكل ما بداخلي من مشاعر وكل ما أكنه بقلبي لك، وكل ما يتلجلج داخل صدري من حبي لك، تراسلني ببعض الكلمات المختصرة تشرح فيها كيف حالك، أتأملها جيداً وأهتم بتلك التفاصيل الصغيرة التي تحاول أنت إخفائها عني، مثلاً أهتم بماذا فعلت عندما استيقظت، وهل تناولت طعامك وقهوتك المفضلة أم لا؟ ماذا ارتديت من ملابس؟ أزعجك أحدٌ ما أو شيءٌ ما؟ كل هذه الأشياء وأكثر تدور بعقلي وأحاول معرفتها منك، لكنك دائماً صامت؛ لذا عندما تبعث لي رسالة أتأملها جيداً وأعيد قراءتها مرارًا وتكرارًا حتى أحفظها عن ظهر قلب، أتساءل متى تلتقي



عيني بعينيك، ومتى سيكون أول لقاء لنا فتكتب لي لعل اللقاء قريب، فأقول لك هل تعدني بعناق عند اللقاء؟

فتجيبني أعدك بعناق يشبه عناق البحر لأمواجه المضطربة.

كل شيءٍ يسير جيداً عندما أشعر بحبك لي، فمثلاً الغيمات غير مزدحمة وغير متكثفة بعضها فوق بعض وتمر في السماء ونتخيلها نحن أشكالاً لطيفة، والبدر أيضاً قد اتخذ من منتصف السماء مسكناً له فاستطاع أن يضيء عتمة الأفئدة الضالة، وليست الطرقات فحسب.

عندما أرى طفلاً يحاول أن يصنع طائرةً ورقية حتى تُحلق في السماء فلا يستطيع فيذهب إلى أمه شاكياً باكيًا، فتمسح دموعه وتأخذ بيديه وتصنع له تلك الطائرة وتجعلها تُحلق في السماء، فيُصفق الطفل بيديه فرحاً وترتسم الضحكة على شفتيْه فتفرح الأم لفرحه، يُذكرني هذا الموقف بك كثيراً فإني عندما آتيك وكلي حزن، ألا أستطيع فعل شيء ما



فتخبرني أنك بجانبي، وتحاول معي حتى أصنع ما كنت أود صنعه فيُصفق قلبي فرحًا؟

عالقةٌ بين الخوف والرجاء، خائفةٌ أن تتركني أو نتعرقل عند المنتصف، أو تحدث بيننا عدة فجوات فنتعثر ولا نستطيع النهوض معاً مجددًا، أخاف أن يمنعك أحدٌ عني أو يمنعني أحدهم عنك، أخاف أن تظل هذه المسافات حائلة بيننا إلى الأبد، أخاف من بضع أفكار تفتك بعقلي وأرجو ألا تحدث كل مخاوفي، فتكتب لي اطمئني فإني إلى جانبك فتفعل هذه الكلمة في نفسي ما تفعل وأشعر بالطمأنينة تغمرني؛ ولهذا السبب تقريباً أراني متعلقةً بك، فإني ما وجدت الطمأنينة يوماً إلا معك وأحبك حتى الأبد.

،،،،،،،



الرسالة السادسة

شهيق يتلوه زفير ثم كتابة رسالة جديدة لا أعلم متى تصلك أيضاً، لكن هذه المرة يعتريني شعور غريب لا أعرف ما هو، لكنه سيطر عليَّ وجعل يداي ترتجفان، وكلما حاولت كتابة بعض الكلمات يعاندني القلم ولا يكتب سوى كلمة واحدة وهي "أحبك" يبدو أن قلمي من شدة ملازمته لي بات يعلم كل شيء عني، ليتك مثل هذا القلم تلازمني، تجاورني في كل وقت، أحلم دائماً أنك معي، فيا ليت كل الأحلام تُحققها لنا الحياة أو ليتني معي ذلك المصباح الذي بداخله جني يحقق الأمنيات، حينها كنت سأطلب الثلاث أمنيات والأولى هي أن تكون معي دائماً والثانية أن تكون معي دائماً والثالثة أن تكون معي دائماً، أنت لا تعلم شدة احتياجي إليك، أنا أحتاجك لأني أحبك ولأنك تلهمني الكثير والكثير، لأني من دونك لا شيء، أنا لا شيء يذكر

مجرد هامش موجود في نهاية إحدى الصفحات، وهذا الهامش لا تحتاج إليه الصفحة الطويلة في شيء سوى تفسير كلمة مبهمة أو كلمتين،

ومن الممكن أن تكون الصفحة بلا هامش، أنت تلك الصفحة ومن الممكن ألا أكون بحياتك، لكن سيبقى دائماً داخلك جزء مبهم يحتاجني كي أفسره؛ لأنه لن يفسر ذلك الجزء الغامض داخلك سواي، والهامش لا يأتي إلا في نهاية الصفحة ليكملها وتنطوي، فأنا ذلك الهامش الذي أتيتك في النهاية حتى تكتمل صفحتك، لكنها لن تنطوي وهكذا نكسر قاعدة أخرى كسابقتها تماماً، دثرت بين ثنايا سطوري كلمات مخبئة لن يجدها ولن يفهمها سواك، فأنا أكتب الآن وأعلم أنك ستقرأ ربما اليوم أو غدًا أو بعد غد، وسيقرأ غيرك لكن لن يفهم أحد أي شيء إلا أنت، لأنك أنت أنا كما أخبرتني من قبل، ومعنى أن أكتب إليك بقلبي الذي يحوي بداخله قلبك فأنت تكتب معي، وعندما تصلك رسالتي وتقرأها ستقرأها بعيني لا بعينك، وهكذا أكون

بجانبك وأنت تقرأ فتفهم كل شيء. يقولون إن القلوب برغم البعد تتصل، فماذا لو أخبرتهم أنت نيابة عني أن أرواحنا قد تقابلت وائتلفت واتصلت، وأن حب الأرواح غير حب القلوب،

غير حب العقول، من الممكن أن أحبك بعقلي، لكن عندما تصدر منك بعض الكلمات يصعب على عقلي فهمها لن يطلب منك الشرح بسبب كبريائه، بل سيتركك وننفصل، ومن الممكن أن أحبك بقلبي، لكن قد يسيطر عليه الحزن والبؤس يوماً فلا يكون لك مكان فيه، أو ربما يكون لك مكان بداخله لكنني لن أستطيع إيصال هذا إليك، أما إذا أحببتك بروحي فإنها ستتفهم كل شيء تراه منك، وأي فعل يصدر عنك وقد تحزن روحي أيضاً، لكن روحك المتحدة معي تحتضني وتبث داخلي الدفء والطمأنينة، والطمأنينة هي أسمى منازل الحب، وحب الأرواح لا يفنى وأحبك دائماً.




تحت ظلال الزيزفون

""""""


إبداع

الرسالة السابعة

تقرأ رسائلي وتقول لي يبدو أن الحب قد ابتلع عقلكِ يا صغيرة، أجل يا عزيزي لقد شغفني الحب واحتل جسدي، يبدو أنه غزو كبير ونجح هذا الغزو في السيطرة عليَّ واحتلالي، يحركني الحب كيفما شاء، لا أفكر كثيراً وكل شيء أراه يعبر عن حبي لك أقدمه بلا تردد، لو كان الأمر بيدي لسحبت روحي من جسدي وقدمتها لك، فتراها وهي هائمة بك وتود لو تأخذها مشفقاً عليها، وتدثرها بين ثنايا ضلوعك، وأعدك أنها لن تجعلك تشعر بأي ألم، ولو كان الأمر بيدي أيضاً؛ لأتيت بسكينٍ مزقت به لحمي وكسرتُ به أضلعي، واقتلعت قلبي من مكانه ووضعته بين كفيك، وبمعجزة ينطق ويقول أنه يحبك، بل وصل إلى ذروة الحب، ينطق ويقول أنه وجد في نفسه جمالاً خالصًا يشبه جمال الحب الذي هو آتٍ من جمال الطبيعة.

الحب جميل وجماله يكمن في ألمه، أن أشعر ببعض الألم إن أصابك مكروه أو نتألم معاً لكوننا على حافة الهلاك، فتأتي الرياح وتحملنا داخل إعصار تُكونه وتضعنا عند بداية الطريق مجددًا، فنتذكر ما كنا على وشك القيام به، فتنجرف الدموع وكأنها تيارًا كهربيًا لا ينقطع لا إذا وُصل على التوالي أو التوازي، علماء مادة الفيزياء قد وضعوا قوانين صعبة جداً لحل معادلات معقدة، هم بفعلتهم هذه قد عرفوا الحب، فالحب شيء معقد لا يستطيع أي شخص منا فهمه، وقوانينه أكثرها تعقيدًا هو أنه لا يوجد للحب قانون، للحب لغة غريبة لن نستطيع فهمها، مثل لغة حنين الجذع وبكائه شوقاً لرسول الله أو ربما لغة العصافير وهي تغرد كل صباح، أو لغة العصا التي اشتاقت إلى موسى عليه السلام، أو لغة السماء وهي تبكي حينما مات موسى، الحب شيء معقد جداً.

في هذا الكون الفسيح تتغذى الأرواح بالحب، ويتغذى الكون بالسعادة والشقاء معاً تماماً كما يفعل المتحابون،



في وقت من الأوقات تتقابل العيون وفي كل بؤرة عينٍ كلام كثير لا يُحكى ولا يُقال، فتتحدث الأعين وتنعقد الألسنة وتتثاقل الجفون من كثرة الدموع ومعنى كل دمعة تسيل على وجهي "أحبك" لذا إن قررت أن تحسب حبي لك، سوف يتطلب الأمر أن تظل تحسب طيلة حياتك، وفي النهاية لن تكون قد استطعت أن تحسب حبي لك كاملاً؛ لأني أبكي وأبكي، أبكي كثيراً من شدة الخوف أجل أخاف، أخاف أن يذهب كل هذا الحب سُدى في لحظة يُسيطر فيها الغضب على أوصالي، بعض الأفكار المميتة تتلاعب بعقلي وتعبث بي، فتعتريني نوبة قلبية مفاجئة وأصاب بالذعر فتضيق أنفاسي من كثرة التفكير، في داخلي أعلم أن كل تلك الأفكار هواجس لكني أرتجف خوفًا، يقولون إن الحب هو الخوف، تُرى أهذا هو الخوف الذي يقصدونه؟ لا أظن ذلك؛ لأن هذا الخوف يهلك صاحبه. دموعي لن تهدأ قبل أن تمسحها عن وجهي بيديك، جراحي كثيرة وجراحك أيضاً، ما رأيك أن تُلملم جراحي على

جراحك فلا تبقى الجراح منفتحة وتندمل وبعدها يأتي الشفاء، الشفاء من العناء والشقاء فأهل الأرض كلهم مصابون بالشقاء، لكن أهل الحب أشقياء ومساكين، تعالَ إليَّ يا عزيزي كي نبني بيتًا يحوينا وحدنا نملأه بالحب والحنان، تغرد فيه العصافير ونستمع معاً إلى موسيقانا المفضلة فيحلقُ قلبي مع قلبك فرحًا، أقول لك عانقني الآن ماذا تنتظر؟ عانقني حتى يُصبح لي قلبين، فتقول كيف؟ فأقول لي قلب في الجانب الأيسر من صدري ،وعندما أعانقك وتعانقني يكون لدي قلب في الجانب الأيمن أيضاً وهكذا أمتلك قلبين، فتبتسم وتضمني إليك وتقولُ لي سأضمكِ حتى يهدأ الشوق، سأضمكِ حتى تندمل الجراح، سأضمكِ حتى يزول الشقاء، سأضمكِ وأُدثركِ بين ضلوعي حتى نُصبح شخصًا واحدًا، سأضمكِ لأنكِ لي وأنا لكِ.

،،،،،،،



الرسالة الثامنة

مساكين أهل الحب، يشتد بهم الألم والحزن وتحكمهم عواطفهم فتجدهم يتبعون قلبهم في كل الأمور حتى وإن ضاق بهم ذرعًا، لكن منهم من يحكمه الكبرياء وهو العدو الأول والأخير، والسلاح الفتاك القادر على هدم كل العلاقات، ومثال على ذلك غادة السمان وغسان كنفاني، فحينما كتبت غادة السمان له "أعلم أنك تفتقدني لكنك لا تبحث عني، وأنك تحبني ولا تخبرني، وستظل كما أنت صمتك يقتلك" فكتب إليها "لكنني متأكد من شيء واحد على الأقل وهو قيمتك عندي، كل ما بداخلي يندفع لكِ بشراهة" فردت عليه "لا يعنيني شعورك العظيم الذي تكنه لي إن كنت تتصرف على عكسه تماماً" كل منهما قد حكمه كبريائه، لا أريد أن نكون مثلهما يا عزيزي يحكمنا الكبرياء، أريد أن يحكمنا الحب وحده؛ لأننا بهذا الحب

نستطيع تخطي كل الحواجز ونستطيع تجاوز كل المنعطفات، أعلم أنك تفضل الصمت نوعًا ما ولكن أريد أن تفسر لي مشاعرك، أعلم أنك تحبني وأنك تقولها لي كثيراً لكن أود المزيد، أود أن أكون أقرب لك من صمتك، أود ألا يمنعني شيء عنك وألا يمنعك شيء عني، أريد أن أفهم لغة الحب المعقدة حتى أفهم تلك الطريقة التي تحبني بها.

على حافة اللسان بعض الكلام، وفي العين كلام وفي القلب كلام آخر، فأما الذي على اللسان منعقد غير قادر على الخروج حتى تنصت له الآذان، والذي في العين لا يفهمه سوى الحبيب؛ لأنه الوحيد القادر على تفسير المبهم وكلام العين دائماً مبهم بالنسبة للجميع، والذي في القلب لا يُفهم سوى بعناق وقبلة، أما العناق فرسائلك دائماً ما تعانقني ولهذا أنتظرها بكل شغف وشوق، وأما القبلة فهي تلامس الأرواح وهنالك قبلة أخرى وهي اللقاء قبل الانجراف نحو التيار، تيار الهلاك والتعقيد الذي يتبعه البُغض لا الحب.

حينها من الممكن أن تنشب نيران، نيران قادرة على حرق



كل شيء قادرة على حرقنا نحن الاثنين معاً ولن ننجو منها يا حبيبي بل سنهلك.

بعض الطرق تُنثر عليها الزهور وبين كل زهرتين تجدني وبداخلي توجد أنت تتساءل ماذا تفعليّن؟ فأجيبك أني أردتك لي وحدي ولم أجد طريقة لفعل هذا سوى أن أخبئك داخلي، أتعلم حاولت كثيراً أن أبحث عن نفسي في كل الطرق والأماكن، وبين طيات الصحف وفي هوامش الصفحات لكني لم أعثر على نفسي سوى بداخلك، بداخلك وجدت الحب، الألم، الخوف، الطمأنينة.

تعددت ألوان الحياة لكن اللون الطاغي عليها وأنا بمفردي كان اللون الأسود، فلما عثرت عليكَ بات ذلك اللون الأسود مُرصعاً بالنجوم، وبين كل تلك النجوم قمر ذلك القمر هو أنا وكل هذا في السماء وتلك السماء هي أنت، أنا في عالمك وأنت في عالمي دائماً وأبداً، تطول الرسائل وتقصر والكلام عنك لا ينتهي، لأنك أنت أنا والمرء لا



يكف عن الحديث عن نفسه ومع نفسه، وإن كان الكلام دائماً ينتهي بأحبك فسينتهي ب "أحبك" أيضاً وفي بعض الأحيان أن تقول أحبك تعني وداعًا، لكن الوداع لم يُخلق لنا.

الرسالة التاسعة

للقلم شوق أن يكتب إليك، بينما من تُمسك به قد أهلكها التعب، وتبدو كغصن وردة ذبلت أوراقه وتفتت فتساقطت على الأرض، أعلم أن الأوراق تتساقط لكني لن أسقط؛ لأن يديك تحتضني مثل كل مرة أكون على الحافة أو على وشك السقوط من أعلى جبل أيهم، أو ربما غير ذلك لكنك في كل مرة تُفاجئني بأنك إلى جانبي وهذا ما يجعلني أتشبث بك طيلة الوقت. العلاقة بيننا معقدة جداً وبسيطة أيضاً في الوقت ذاته كلانا يحب الآخر، لكن بصورة قد تبدو معقدة بعض الشيء، فأنا أريدك لي وحدي تنشغل بي عن العالم، تروي لي عن طفولتك، تخبرني عن ماضيك فأقول لك سنتخطاه معاً ونمحوه كي لا يبقى له أثر، وأنت تُريدني، لكن تريد مساحتك الشخصية التي لم تعد متاحة منذ أن عرفتني، نحن مختلفان ربما، فأنت شخص جيد جداً تحكم

عقلك ولا تجعله يتحكم بك، أما عني فإني أسير وراء حبي لك، لذا إن تأخرت رسائلك لبعض الوقت تلاعبت بي الظنون وعبثت الأفكار بعقلي عدة هواجس، فأبعث إليك برسائل تجعلك تتألم وأتألم أنا أيضاً عند كتابتها وفي كل مرة تكون علاقتنا على وشك الانهيار، وأظن أنها ستنتهي أجدك بجانبي تخبرني أنك لن تتركني وحدي فيزداد حبي لك وأتصرف على نقيضه تماماً، فتراني أقول لك أكرهك بينما قلبي لا يحب غيرك، أقول لك اتركني وفي داخلي أردد لا تفعل، أعلم أن مزاجيتي المتقلبة وحظي السيء هما السبب في دماري وجعليَّ وحيدة بلا أصدقاء، أو ربما لدي الكثيرون منهم لكن دائماً أشعر أن قلبي بمفرده بالرغم من هذا الازدحام حوله، أشعر أن قلبي بمفرده يتألم وحده، يئن ولا يُنصتُ إلى أنينه أحد، يتمزق ولا يوجد من يجعله يلتئم، يعتريه الخوف ولا يوجد قلب آخر بجواره يُطمئنه، يصاب بعدة ثقوب لا يراها أي أحد أو ربما يرونها ويتجاهلونها، مصاب بالخذلان ويخرج من خيبة يركض وراء خيبة أخرى

حتى ضعف وفقد الحياة لكنك أعدته من جديد، أحاول جاهدة ألا أزعجك باكتئابي الدائم وبكائي الذي لا ينقطع، أحاول ألا أكون ثقيلة على قلبك حتى لا تتركني في أحد الأيام، لكن بالرغم من كل هذا التعقيد إلا أننا بُسطاء جداً، فكلمة واحدة منك قادرة على جعليَّ أبتسم لأجل غير معلوم، أراك شخصاً طيباً للغاية إذا تعلق قلبك بشخص ما، فإنك تتحمله بكل ما فيه من عيوب وبكل ما يسببه لك من أذى، والدليل على هذا كونك بجانبي حتى الآن تتحملني بكل عيوبي التي أطرحها عليكَ دائماً كي لا أشعر دائماً أني خدعتك، لكنك تجعلني أرى عيوبي مميزاتٍ لي وتجعلني أؤمن بنفسي كما تفعل، وأحب نفسي كما تفعل، وأفعل كل هذا لأنك تفعله.

في السماء عدة نجومٍ وكواكب لكن هنالك قمر واحد وشمس واحدة، فإذا انعكسا صدرا عنهما نور، هذا النور هو أنت أما الجسم المعتم الذي يُضيئه ذلك النور فهو أنا، هنالك عدة أشجار تحمل فروعها بعض الثمار، ولكل ثمرة

شجرة فلا ينبغي لهذه الثمرة أن تنبت على أفرع شجرة أخرى، مثل الثمرة أنت، مكانك داخلي وما بين ضلوعك فهو ملكي، ومثلما تنضج الثمار في الموسم الخاص بها فإني لست ناضجة بعد، ولهذا السبب تحديدًا ترى مني ما لا يستطيع عقلك استيعابه من تصرفات قد تبدو غبية في بعض الأحيان، وطفولية بعض الشيء، لكن النضج لن يأتي سوى بعناق والعناق لن يأتي سوى بلقاء، واللقاء قد جعل الشوق والحنين يسريان في دمي، ويجريان فيه مجرى المياه في النهر، لكن الدم قد ينزف من بعض الجروح التي لم تندمل، وبإمكان هذا الدم أن يسيل حتى يأتي إليك فتلملمه بين يديك كما لملمت شتات روحي أيضاً من قبل، ودثرتها معك فباتت تلازمك وصرنا نحن شخصاً واحدًا، أعلم أنك ستلملم جراحي أيضاً وستكون بجانبي.

في كل صباح أستيقظ من حلم جديد، وكل حلم يراودني فيه شيء واحد وهو أنت، أجدك في أحلامي وأجدك في كل حرف أكتبه لك، كل حرف أكتبه والقلم إن تركته يكتب

لك سيظل يكتب حتى ينفد الحبر وإن نفد الحبر، فمن الممكن أن أستبدل هذا الحبر بدمي النازف من تلك الجروح والتي تنتظرك حتى تجعلها تندمل، فما عاد بقدرتي فعل أي شيء لي لأن الحب قد تملكني، أعلم أني ضعيفة ولكن ضعفي هذا يظهر لك لكي تعلم أني بحاجتك دائماً وأبدًا فلا تتركني، وفي النهاية كن لي ملجأً آوي إليه، أكن لك كل اللطف.

،،،،،،،



الرسالة العاشرة

الأحلام جزءٌ من الواقع، ليس كل ما يتراءى لك في المنام حقيقة لكن بعض الأحلام تمثل جزءاً كبيرًا من الواقع، والبعض الآخر كوابيس مزعجة تُراودك حتى تعلم حقيقة المزيد من الأشخاص المزيفين أمامك.

التقيت بكَ في أحلامي العديد من المرات، وكل مرة تحاول إيصال رسالة لي لا أفهمها، لكن أستيقظ مرتاحة البال وكأني حلمت بالجنة وما فيها.

ما بين كفيك فرحة تعطيها لمن ملك قلبك، وبما أن قلبك ملك لي فتلك الفرحة إهداءً لي ولقلبي الذي يحوي بداخله قلبك فنفرح معاً ونشقى معًا، نتشارك الحزن أو نتناساه، تخبرني عن ماضيك فأقول لك لا يهمني ذلك الماضي الذي لم أكن فيه، ولا يهمك أيضاً لأنني لم أكن معك فيه، تقول لكن للماضي ذكريات والذكريات تطارد الإنسان حيثما



ذهب، فأخبرك أنه لن تلاحقك ذكريات سوى ذكرياتنا معاً أما الماضي فسيُمحى وكأنه لم يكن.

في داخلك طفل صغير متمرد ساخط على كل شيء حوله لا يستطيع ترويضه سواي، وبداخلك أيضاً شخصٌ حالمٌ عاقلٌ، يُعطي النصح للجميع ولكن يترك لهم حريتهم في اختيار الطريق، وطريقي هو طريقك فحيثما تذهب تجدني إلى جانبك متشبثة بذراعيك وكفي متشابك مع كفك الذي يحويه، وكأن طفل صغير ممسك بكف والدته خوفًا أن تفصل بينهما شقوق الصفوف أو يتعثر في فجوة قد أحدثها أحدهم بالأرض، أخبرتك أني أجد الاطمئنان بقربك لذا لن أبتعد عنك.

أحب الإنصات إلى حديثك وإلى صمتك أيضاً، فإني أفهم جيداً من ضربات قلبك المتتالية ماذا تود أن تقول، لهذا أنصت إليك دائماً بشغف وشوق، أُخبرك أن صوتك هو المفضل لدي، صورتك في مخيلتي وبين يدي أحتضنها كل



ليلة وأتحدث إليها وكأنها أنت، حينما حسبت أني فاشلة في إقامة العلاقات بسبب غيرتي المولعة التي تجعل الجميع ينفرون عني، وجدتك بقربي ولم تفعل مثلهم، أخبرك أني أغار عليكَ وأود شق صدري وأضعك بداخلي كي أخبئك، فتقول لي أنا ملكٌ لكِ وحدكِ فأهدأ وتهدأ النيران المشتعلة في قلبي وصدري، فأبتسم وأخبرك أنني أحبك.

يفقد المرء منا شغفه في الحياة حتى يعثر على شغفه في بعض الكلمات التي يرسلها من يحبه إليه، كلما انقطع شغفي وفقدت قوتي التي أتظاهر بها دائماً، أبحث عن رسائلك وأتأملها جيداً وأحفظها عن ظهر قلب فتعيد لي شغفي من جديد.

لا أعلم لَمَ كلامي غير مُرتب بطريقة تجعلك تود قراءته، وأنت تبتسم لكن أود إخبارك بأنه لن يدوم شيءٌ سوى حبي لك.

،،،،،،



الرسالة الحادية عشر

ما رأيك بقلم يكتب ما يمليه عليه قلب؟

القلب لا يحكمه سوى الحب والبغض، فأما الحب فما عرف قلبي معنى الحب ولكن يعرف أنه يحبك وما أحب يوماً سواك، كل قد فسر الحب على هواه ولكن حتى الآن لم يعرف أحد معنى الحب، أهو الألم أم الخوف أم الجمال أم الاطمئنان أم غير ذلك؟ في مرة حسبت الحب هو الجمال الذي تتغذى عليه الروح فيعيدها للحياة من جديد، ومرة أخرى حسبته الخوف فوجدتني عالقةً بين الخوف والرجاء كالمحتضر لا يدري أيخاف مما هو آتٍ بعد قليل أم يرجو أن تكون الجنة هي الآتية لا النار، وفي مرة أخرى حسبته الألم فوجدتني أتألم من شدة الشوق تارةً وتارةً أخرى إذا قررتُ الابتعاد عنك أو ابتعدت عني، وأتألم إذا علمت أنك تتألم من شيء ما أو أصابك هم أو ضيق، ومرة حسبته الاطمئنان



فما وجدتني أطمئن سوى بين يديك كطفل صغير لا يهدأ ولا يطمئن قلبه إلا بين يدي والدته، وجدت في كل هذه الأشياء الحب ووجدت الحب متمثلاً على هيئتك، أتاني بغتة دون علم مني ما هو وماذا هو بقادر على أن يفعل بي، أما البغض فهو شيء ما يقع في النفس من شدة الحب، فبعدما تحكمنا أصفاد الحب لا يود لساني أن ينطق سوى بكلمة واحدة وهي أبغضك، ولكن مع نطقي لها يزداد حبي لك لا أعلم ما هذا التناقض الغريب، لكن في بعض الأحيان أراني أحبك وأبغضك في نفس الوقت، والبغض هذا يجعلني أشمئز من بعض أقوالك وأفعالك الغريبة التي تزعجني وتجعلني أظن بنفسي التي هي أنت سوءًا، وبعدها تراني أحبك وكلي رغبة أن يرتبط اسمي باسمك للأبد. التقت القلوب قبل الأعين دون قصد منا، فكل ما نفعله في هذه الدنيا قد سطرته الملائكة في اللوح المحفوظ بقلم لا يجف حبره، بين طيات الصحف توجد مئات الكلمات، وبين كل كلمتين تجد كلمة أحبك مندثرة بينهما تراها فتبتسم وتخبرني أن

قلبك بات يحلق فرحاً، فتدمع عيني فرحة بكلامك ولكن دمعة واحدة لا تكفي فتنهمر الدموع وتتثاقل الجفون فأتذكر الماضي وكم كنت ساذجة للغاية، حينما لم أخبرك أني أحبك وكنت أبتعد عنك خشية أن أفقدك أو يصيبك حظي السيء أو تصيبك لعنة التفكير التي أصابتني منذ زمن، كم كانت أفكاري مزعجة ولا زالت حتى الآن مزعجة وتضايقني في كل وقت، فأود أن أمطر عليكَ بوابل من الأسئلة فتتجاهلها كي لا أحزن، ولكن تراني أنزعج من تجاهلك فأود أن أشكو إليك وأعاتبك، ولكن ثمة شيء ما في نفسي يخنقني حتى الموت، وتتجمع العبرات في العين وتأبى الهبوط وآه من الضيق الذي أشعر به في ذلك الوقت، تقفز إلى ذهني عدة أفكار غريبة وتختفي بسرعة كوميض من البرق، لا أعلم ماذا دهاني حتى بتُ بهذا السوء وأرهق نفسي بالتفكير هكذا، لكن أعلم أن حبي لك سيصيبني بالجنون في يوم من الأيام إن لم يكن قد فعل حتى الآن، حينما أسهو لبعض الوقت مع نفسي التي هي أنت، فأنا لا

أسهو في شيء إلا في تفكيري بك ماذا تفعل؟ وكيف حالك؟ هل أنت بخير أم أصابك مكروه؟ وبعد كل هذا التفكير وهذه الأسئلة يلفظ لساني اسمك ويتلذذ بنطقه وكأنه يتذوق قطعة من الحلوى المفضلة لديه، الحب شيء جميل جداً كالألوان عندما تتراص صفوفاً بجوار بعضها البعض، والحب شيء جميل يحرك القلب نحو من يريد ويحرك اللسان كي يقول ما يود دون أي قيود، ويحرك الجفون فتبكي وتلك هي لغة العين فمع كل دمعة أبكيها أتذكرك، وفي كل دمعة حزن خالص مذاق مر، فأحاول كتابة هذا الحزن وسرد الأوجاع ووصف مذاق الخذلان ومرارة الفراق فأنجح في وصفي هذا، وأجعل كلامي متمركزًا في قلوب الجميع سوى قلبك يا عزيزي، تتشكل الحروف على هيئة كلمات غير مهندمة ومبعثرة، لا تعلم أن فوضويتها تلك مزعجة لكل من يراها وبالتأكيد تزعجك أنت أيضاً، لذا أقول لكَ لا تهتم لرسائلي ولا تقرئها فهي ستصيبك بالغثيان حتماً.





الرسالة الثانية عشر

كانت الحياة من أجل آدم وخلقت حواء من ضلع آدم ليكون الحب، وتزينت فكأن الجمال الذي ملئت به الجنان قد تسرب إليها، فكان الجمال في المرأة ليحبها الرجل وهنا تكون الحياة، لم أشعر بالحياة ولم أعلم أن الحياة بهذا الجمال الصادق إلا بعدما أخبرتني عن حبك لي، كنت أحسب الحياة لوناً واحداً وهو الأسود، حتى أخبرتني بحبك، فرأيتها حينها ألواناً جميلةً مصفوفةً بجوار بعضها البعض، تجعل المرء يود النظر إليها والتأمل فيها، وحسبت أن الليل للبكاء والنهار لجمع الأفكار السيئة الرديئة من المجتمع الدنيء، فوجدت أن الليل لكي أحيا فيه بين ربوعك ونحيا معاً في كنف الحياة ولا يشغلنا شاغل، نتراسل فنتعانق برسائلنا التي هي جعبة من المشاعر.



ترى السحاب ملطخة بلون الدماء إثر جرح يدمى، ولكن لا ترى من الطاعن وأين الطعنة ولكن السماء تبكي، ويتساقط منها الدم كما تتساقط العبرات من عين أم أتتها الفاجعة وتفاجأت بموت ابنها فانفطر قلبها وتصدع صدرها، وسالت العبرات من عينيها فحفرت مكاناً لها على الوجه، وبات كل من يراها يظن أنها تجاعيد بالوجه، وظنوا أن الشيخوخة قد أصابتها، وفي الوقت ذاته تبكي أخرى إثر فراق محبوبها فقد كانا بالأمس تلفح قلوبهما نار العشق، واليوم افترقت الأرواح وجاء الملك وقبض روح فلامست الأخرى قبل خروجها، فعلمت أنه موعد الفراق فبكت حتى غُشي عليها، وأفاقت وبكت ثانية وأغشي عليها مرة أخرى، وتمنت أن يأتي الملك فيقبض روحها هي الأخرى، ولكن لم يحن الوقت بعد ويبدو أنها ستظل جثة بلا روح حتى يحين الوقت.

الفراق أمرٌ مكتوب وهو أمرٌ شيءٍ قد كُتب، فيصعب على روح أن تحيا بعد فناء روح تحبها، لا أريد أن تفترق أن



أرواحنا وأعلم أن الأمر ليس بإرادتنا، لكن إن حدث فلتهلك روحي أولاً فإنها لن تتحمل الحياة بعد فراق روحك.

بين فراق روحٍ وأخرى يوجد الألم، وهذا الألم يتسلل خفيةً إلى كل خليةٍ من خلايا الجسد فينهشها، ومن ثم يتجمع عند القلب ويتخذه مسكناً له فيتوقف القلب عن النبض، أو ربما لا يتوقف لكن من فرط الألم يشعر المرء أن قلبه ما عاد ينبض، ويتذكر كل خيباته والصفعات التي أهدته إياها الحياة، وتزداد الثقوب التي في القلب حتى يتصدع ويتشقق فتنفتح كل الجروح القديم منها والجديد، فينزف الدم ويسيل ويظل القلب يدمى حتى يأتي من يزيل الثقوب، ويجعل الجروح تلتئم فيتوقف القلب عن النزيف، وتشعر أنه قد عاد ينبض من جديد.

أصابك الهم مثلما أصابني ولكن الفارق الوحيد هو أنني تأقلمت بعدما تألمت، فقد بت الليالي وحدي قبل معرفتك



أصارع الهم والحزن من أجل أن أبقى على قيد الحياة، أعلم أنك لا تود أن تزعجني بهمومك ولكن ألمك يؤلمني، وهمومك إما أن تُفضي بها إليَّ أو نتشارك معاً في حملها، أما الحزن فهو ملازم لي ينتقل تدريجياً لكل شخص يجاورني، وبما أنك الوحيد الذي بجواري ولا يتركني فإن الحزن قد يصيبك، لكن أعدك أنني سأحاول بكل ما بداخلي من قوة أن أحبس هذا الحزن داخلي حتى لا يصيبك فيزعجك يا عزيزي.

،،،،،،



الرسالة الثالثة عشر

إليك مني قلبي وكل حرف أكتبه فهو لك، لطالما كان كل شيء دائماً لك، لم أعثر على وسيلة أخبرك بها أني أحبك سوى أن أجعل قلبي يكتب بعض الحروف، التي تتشابك مع بعضها وتتكون كلمتك المفضلة "وردة" فلما تكونت ضممتها إلى قلبي وأرسلتها إليك، فإن قرأت هذه الكلمة بعينيك بدت لك تلك الوردة الحمراء ذات مظهر رائع تجذب عين كل ناظر إليها، وإن قرأتها بلسانك ستجدها تحادثك هي الأخرى، وتنقل لك ذلك العناق الذي وددت لو ألتقيك حتى أعانقك إياه، ستبكي بين يديك بدلاً عني وتخبرك أن في حبي لك شقاءٌ مثل شقاءِ الأم وهي ترعى طفلها يتيم الأب، تفارقه طوال النهار وتتركه يبكي، وتعود إليه مساءً متعبة قد تمكن التعب من أطرافها، ولكنها تتحامل وتتكئ على قدميها وتأخذه في حضنها بعد فراق دام ليوم



كامل بالنسبة للجميع، أما بالنسبة إليهما فكان اليوم بمثابة سنة كاملة، تُنصتُ إلى شكواه وألمه وتزيل دموعها بكفيه، وتخفي دموعها وراء جفونها، وتكتم ضيقها في صدرها حتى تصل إلى مرحلة الاختناق، ولكنها لا تتحدث عما يؤلمها ولا تشكو العناء الذي عانته حتى تحصد ثمرة يتغذى طفلها عليها، بل تبتسم وكأن شيئاً لم يكن، تُذكرني هذه الأم بك يا عزيزي تتألم فتخفي ألمك، ولكن ما لا تعلمه هو أنني أشعر بك جيداً وأعلم أنك تتألم ولهذا تراني أتألم أنا أيضاً، ستخبرك تلك الوردة أيضاً أنني لم أشعر بهذا الاحتلال من قبل كما يحتلني حبك اليوم، لقد أسرني ولكن الغريب في الأمر أن الأسير يكره القيود، أما أنا فلقد أحببت قيودك والأغلال التي تأسرني داخلك، أحب كوني أسيرة لقلبك فهذا يشعرني وكأنني ملكت الأرض ومن عليها، قيدني بسكونك وحركتك بصمتك وحديثك، بحبك الذي لن يهترئ.



بين كل كلمتين مسافة فاصلة بينهما، وعلى سطح تلك المسافة فراغ، وفي هذا الفراغ تساقطت دموعي من شدة الشوق، وبين شوق وحنين تهجرني فأشعر أن قلبي قد بتره أحدهم بسيف حاد، لا أدري ماذا أقول بعد شقاء روحي لأجلك سوى أني أحبك، ولو أن للحب كلمة بعد الهُيام لوجدتني أحبك أكثر من هُيامي بك، درست قوانين الحب كاملة ولم أعثر على قانون ينص على أنه يجوز للمحب الهجر، وإن كنت تخشى عليَّ من الألم فلا يؤلمني شيء سوى هجرك لي، لو أن كل من يقع في الحب يجد كلمة جديدة في قاموس الحب غير أحبك، لفتشتُ عن كلمة لم يتفوه بها أي أحد بعد وأخبرك بها، أريدك أن تعلم أني تغلبت على أفكاري المتمردة ولم أعد أُنصتُ إليها أو أُلقي لها بالاً حتى تركتني وشأني، لكن في داخلي شيءٌ من العبث يتضمن حبك مع عشقك مع الوقوع في غرامك مع الشوق إلى رؤياك، هنالك جعبة من المشاعر المبعثرة مختلطةً مع بعضها البعض هنا في قلبي، ربما الحب والبغض أو شيء من هذا مع

شيء من ذاك اختلطا وامتزجا بلا تفسير لامتزاجهما، هما كالمادة السائلة امتزج سائل الحب بسائل البُغض فتكونت تلك المادة، وحتى لا ينفض منها شيء تحولت المادة الناتجة من سائل إلى صلب، صلب لا ينكسر ولا ينصهر، دائرةً منفتحة يريد تيار الحب أن يمر بها، أنا وأنت طرفي الدائرة تعانقني فتنغلق فيمر التيار فيضيء المكان فيتحقق ما أقوله لك دائماً، وهو أن وجودك يضيء عتمة الأمكنة، ويضيء لي قلبي ويجعل عيني تلمع بعدما انطفئت منذ أمد بعيد.

،،،،،،،





الرسالة الرابعة عشر

ما بين الحب والدمع شيء من الحبر قد استُهلك على بعض الأوراق، العديد من الرسائل تحمل بين طياتها الحب وانتهت بالفراق تشبه هذه الرسائل، السماء فهي غير محدودة ومملؤة بالغيوم حتى إذا اقتربت الساعة تشققت السماء وجفت الأقلام، حينها فقط ربما أتوقف عن الكتابة لك وعنك، أقضي ساعات طويلة أُفكر ماذا أكتب؟ أعلم أنني أكتب أشياء جيدة للغاية، لكن حينما يحين وقت الكتابة عنك لا أجد حرفاً جيداً أصفك به، وكأن كل تلك الحروف تخشى ألا تبرع في وصفك، وأخاف أن يسهو قلمي ويكتب لك شيئاً لا تريد أنت قراءته، لقد خصك قلمي بالكتابة عنك وتخصك حروفي بعناقها إياك، وأخصك من بين الجميع بحبي لك.



المرور في القاهرة لا يتوقف، وهنالك قلم في السماء لا يتوقف عن الكتابة وكتاب يدعى باللوح المحفوظ لا تنتهي أوراقه، إن حدثت كل هذه الأشياء ربما أتوقف حينها فقط عن حبك وربما لن أفعل؛ لأن الشيء الوحيد الذي يجعلني أشعر أنني على قيد الحياة هو حبك، فالبشر يتنفسون الأكسجين والبعض منهم يتنفسون فقط حينما تبدأ أقلامهم بالكتابة، والبعض الآخر يتنفسون رائحة الكتب ويؤمنون أنها حية وتتنفس ككائن حي، أما أنا فلا أتنفس هذا أو ذاك بل أتنفس حبك يا عزيزي، أعلم أن كلهم يستنشقون الحب وكل فرد منهم على يقين من حبه لما يستنشقه ولكنني من بين الجميع أستنشق رائحة حبك، أحبك بطريقة لا يمكنك استيعابها ولا أنا، لكن بعض التصرفات التي تصدر مني عفوياً ودون قصد مني تسبب لك الإرهاق، ولكن عليكَ أن تتعلم التغاضي عنها وكأنها لم تحدث من الأساس، وأعدك أنني سأحاول التوقف عن العبث والفوضى اللذان أسببهما دائماً، أحب دائماً الحديث معك وأخبرك ببعض التفاصيل



التي لا تهتم أنت بها، وأكرر على مسامعك نفس الحديث في كل مرة، ولكن ما يجعلني أفعل هذا هو أنني لا أريد للحديث الذي خُلق بيننا أن يموت في يوم من الأيام، سأنقل لك رسائلي بيدي فإن عجزت يدي نقلتها إليك بلساني فإن عجز فسأنقلها بعيني، إذًا المهم ألا تتوقف الرسائل بيننا فما بيني وبينك لا يُمحى ولا ينتهي، دعك من كل هذا وتعالَ نعيد للألسنة مذاق الحب، وللقلب انتفاضته الأولى وللمحادثة بيننا الود الذي كانت عليه، وتُسلمني قلبك فأضعه داخل قلبي حتى لا يكون فيه مكانًا لغيري، فأنا أنانيةٌ جداً لكن في حبي لك فقط.

،،،،،،



الرسالة الخامسة عشر

قد تجفُ الدموع من المُقل، وينفد الحبر من القلم فتتنهد الورقة التي أكتب عليها نفس التنهيدة التي أُصدرها من قلبي، والتي تعبر عن استقبال العاصفة القادمة علينا، فأصمتُ وأرى تلك العاصفة تدمر البيت الذي بنيته في قلبك، وربما تنهمر الدموع الساقطة من الجفون وتمتزج ببعض الحبر المتبقي في القلم، فأكتب لك قطرات من الحبر ممزوجة بالدمع تضم هذه القطرات بعض رسائلي إليك، وأخبرك بعضاً مما أخبئه لك في قلبي، فما وقع في نفسي منك لن تعلمه كله، بين الليل وسواده المخيم على الأجواء يأتيني طيفك عابرًا الشرق من المحيط إلى الخليج، يعبر عن شدة شوقه، يجلس إلى جانبي فيضم يدي إلى يديه ويبتسم، فتلمع النجوم في السماء ونجلس معاً نتأملها فيقول لي طيفك: يا قمري الحبيب قد جئتك اليوم أخبرك أني أحبك، وأن

القلب مشتاق والعين تود اللقاء والسلام. بين الآهات التي تصدر عن ألم الروح والتنهدات التي تصدر عن قلب يتألم منذ أكثر من خمسين عاماً، من قلب أم فقدت وحيدها وذرفت لأجله الدموع، وما فعلت هذه الدموع شيئاً سوى أنها أفقدت الأم بصرها كما فقد يعقوب بصره بعد فراق يوسف، ولكن حدثت معجزة يوسف وبقي على قيد الحياة ونشأ في قصر العزيز، والمعجزة الأخرى قميصه الذي أُلقي به على وجه أبيه فارتد إليه بصره، لكن هما نبيان ويؤيَدان بالمعجزات، أما تلك الأم المسكينة فكتب عليها الشقاء والصبر حتى يزول الشقاء، بيد أن شقاء الحياة لا يزول سوى بالموت، وهذا يعني أن دموعها لن تجف ولسانها سيظل متلعثماً، وقدميها كُتب عليهما أن ترتجفا للأبد، وقلبها سيظل يعتصر من شدة الألم حتى النهاية وما بعدها أيضاً، وإني لأشبهها في حبي لك فكم أخبرتك من مرات أني أحبك مثل حب هذه الأم لابنها، ولكن أيضاً مكتوب لي الشقاء إلى متى؟ لا أعلم ولكن إن هبطت دموعها بعد

فراق ابنها فدموعي ستهبط إذا فارقتني وهجرتني، وإذا
تلعثم لسانها كلما حاولت أن تنطق باسم ابنها فلساني
سيتلعثم إن أردت أن أنطق باسمك من بين شفتيّ، وإن
اعتصر قلبها ألمًا فقلبي يعتصر الآن من شدة الألم، ولكن ما
يؤلمني هو الخوف، الخوف من الفراق، لقد عثرت عليكَ في
طريقي ولا أريد إضاعتك، إن فقدتك ستنتهي حياتي؛ لأنك
ببساطة شديدة حياتي، أعلم جيداً أن ألم الخوف من الفراق
أكثر ألمًا من ألم الفراق، ولكني أبيت الليلة وقلبي يتأرجح
بين الخوف والحب والرجاء والألم، فأما الخوف فأدسه لك
بين كل حرف أكتبه فتقرئه وتُربت على قلبي وتطمئنني،
أعلم أنك تقرأ خوفي جيداً وتفعل ما بوسعك كي تبث
الطمأنينة في قلبي وروحي، ولكن الخوف لا يفارقني، لي
هواجس في عقلي تأتيني فتُصيبني بما لا أُطيق وبما لا تتحمله
نفسي، أما الحب ففي كل ثانية تمر عليَّ وأنا على قيد الحياة
ومع كل شهيق وزفير أحبك، وأخبرك أني أحبك، أشعر بك
وكأنك إلى جانبي تنظر إليَّ وتبتسم بينما أقول أحبك، وأما

الرجاء فهو أني في كل سجدة أسجدها يتلفظ لساني باسمك، ويدعو وكله رجاء أن يُستجاب فيُضم قلبي لقلبك حتى بعد الممات، والألم فهو ناتج عن الخوف والحب معاً، فمن شدة حبي لك أخاف ومن شدة خوفي أتألم.

في الطبيعة يكمن الحب الصادق، وقلبي قد تأمل الطبيعة فتعلم منها الحب الصادق، وتأملت عيني النجوم والقمر فتعلمت التشبث بهما كل ليلة حتى تناجي القمر، وتسأله أن ينقل حديثها إليك، كل شيء في هذه الحياة علمني جيداً كيف أحبك وعلمني أيضاً ألا أسأل لَمَ أحبك، لأنه ليس للحب سبب سوى أن روحين تقابلتا فائتلفتا.

،،،،،



الرسالة السادسة عشر

أن تكتب عن الحب لا يعني بالضرورة أنك تحب، فهنالك من يكتب عن الحب وشيء صغير يخفق داخله، ويتمنى لو يحصل يوماً على مثل هذا الحب الذي يكتب عنه.

يتحدثون عن الحب في إذاعة القاهرة، وأحدهم يقول أن أم كلثوم ستظهر على المسرح قريباً، فترى الجميع كلهم آذان مصغية لذلك الشيء الصغير المسمى "راديو" ويمسكون في أيديهم أكواب القهوة وينصتون إليها وهي تُغني بمهارة، فتصل كلماتها لأرواح الجميع، الصغير منهم والكبير، بينما أنظرُ إلى عينيك وأُحدثك أن الحب مثل أمواج البحر المتلاطمة التي لا مأمن لها ولا مستقر، أتأمل وجهك ولا تؤثر فيَّ النداءات، قد أطل القمر هذه الليلة ويا لسعدي وهنائي، فلقد سكنت الروح وهدأت ثورة القلب والعين قد عثرت على فقيدها، فخمدت نيران القلب التي كانت



مشتعلة منذ قليل، أمسك عليكَ حبك وحسبك الليلة من آهات الروح، فإن لهذا اللقاء ذكرى قد سطرها القلم وعجبًا لهذا القلم، فإن حبره الليلة لا يجف! والحروف التي يكتبها لا تنتهي.

أقول لك هاك قلبي فخذ بيدي وضمها إلى يديك، فإن للمسة الأولى رعشة تعتري الجسد وانتفاضة تهز القلب، أما الروح فمكتوب عليها أن ترتجف وتفرح وتضحك وتدمع في آن واحد، أخبرتك من قبل أنك السماء وما تحوي ولكن لست أريد بكلامي السماء التي رفعها الله من غير عمد، بل أريد سمائي التي تحتوي على بيتنا بجانب تلك الغيمة التي تخيلنا لها العديد من الأشكال معاً، أريد سمائي التي نرى فيها بزوغ النجوم ونرى فيها القمر فأقول أحبك يا قمري، في تلك السماء جنان لا نحتاج سوى الحب لندخلها، فهنيئاً لي حبك فإني فُزت به أعلى الجنان، وهنيئاً لك حبي فإنك ستشاركني في تلك الجنة، أجلس إلى جانبك فأُنصت إلى هدوئك والتنهيدات التي تصدرها من قلبك فأشعر بشيء

أروع من العزف على العود، شيء تطرب له أذناي، لم أكن أعلم أن للوصال خيوط تمتد من قلب لقلب فتربطهما فلا يستطيع أي شيء قطع تلك الخيوط للأبد، حتى وإن تفرقت الأجساد فالأرواح ستظل ممسكة بتلك الخيوط حتى الأبد وما بعده أيضاً، سيظل لقلمي الحرية في شيء واحد، وهو الكتابة عنك فهو يكتب ما يهواه وإنه الآن لا يهوى غيرك.

أفرع الأشجار تتمايل هنا وهناك، وتهب نسمات الهوى ممزوجة بالحب بينما أقف لاستنشاقها فتحرك الرياح أشياءً كثيرةً داخلي، كما حركت أفرع الأشجار منذ قليل وتجعل الحنين يتوغل ويستيقظ من نومه الذي لم يطل.

بين طيات الصحف تحدث الكُتاب عن الحب، حتى وإن لم يقع أحدهم به يوماً، بين كل غنوة وأخرى تليها أنشدتها أم كلثوم، تجد الحب والحنين يبدوان بارزين فيها، بالرغم من كونها لم تقع في الحب، بين كل ألحان الموسيقى التي لحنها القصبجي لأغاني أم كلثوم تجد الحب ممزوجاً بالحزن؛ لأنه

كان يحبها كثيراً، وبين كل كلمة كتبها أحمد رامي لأم كلثوم كي تغنيها، لم تكن الكلمات للغناء فقط بل كانت إظهارًا لحبه الذي كنَّه بداخله لها أيضاً.

كل الكلمات التي غفت عند أمواج البحر، والتي ثقل على الأقلام أن تكتبها، وعجز اللسان عن نطقها، فعند اللقاء تفضح الأعين الصب المخبأ بالقلب.

يقول المنفلوطي في كتابه "ماجدولين": "إن الحيطة في الحب رأي تراه لنفسها المرأة البغي التي تتخذ لها كل يوم حبيباً، تُقسم بين يديه بكل محرجة في الأيمان أنها ما فتحت قلبها لزائرٍ قبله، فهي تخاف أن تسجل بيدها على نفسها في يومها ما يفسد عليها أمرها في غدها، أما المرأة الشريفة فما أغناها عن ذلك كله؛ لأنها تحب فتُخلص فتقول فتكتب ما تقول"

وإني لأحببتك فأخلصت في حبي لك فكتبت عنك ولك.

في لقائنا امدد إليَّ يدك والمس بها قلبي، وحينها يُكشف لك كل شيء من وجدٍ وحنين.



الرسالة السابعة عشر

عزيزي:

لم تعد الأمور بيننا كما في السابق؛ لذا أقول عزيزي وليس سيدي، بالرغم من كوني أعلم جيداً أنك قد تكون عزيزًا على غيري، لكن قلبي لا يُعز عليه أحداً سواك، اختصك من بين الجميع بحبه لك وتعلقه بك، كتبت هذه الرسالة وجعلتها تترادف إليك بعدما جاءتني الأفكار تتدفق كالسيل العرم، وأُوحي إلى قلمي من قطرات الماء التي تهبط من السحاب أن يكتب إليك، فاندفع القلم والقلب يتصارعان فكلاهما يريد أن يكتب إليك، وزاد خفقان قلبي حتى تسرب الحب منه إلى القلم، ومع أول قطرة خير انزلقت من القلم علمتُ أن قلبي وقلمي قد اتحدا حتى تُكتب هذه الرسالة، بدون القلم لا حبر، وبدون القلب لا حب، أما إذا اجتمعاً فكانت قطرات الحبر تتشكل على هيئة كلمات من



الحب، ومن وحي الحب وُلد النور وأتتك كلماتي وهي ظمأى كمن يسير في صحراء جرداء منذ شهور، فهو يريد الماء، وكلماتي تريد أن تروي عطشها بعناق منك أو ربما قبلة.

والأن أقولها يا أنا وتنطقها شفتاي قبل أن يكتبها قلمي، آه لو تعلم ماذا فعلت بي تلك الكلمة منذ قلتها لي أول مرة، وكلما تذكرتها نطقت بها وشعرت بفرحة عارمة تعتري فؤادي الذي يريد لحبنا أن يدوم للأبد وما بعده، أعلم أن الأيام قد تضيف إليه بعض الشوائب، ولكن إذا بقينا معاً نستطيع تنقيتها فيعود الحب بيننا خالصاً تسوده المودة والرفق واللطف.

إن كانت الطيور تغرد ألحان الحبِ في الفناء، والسُحب تتدفق منها السيول إلى الأرض فتنشر الحب وتحيي الأرض بعد موتها، فإني لا أفهم تغريدة الطير إلا بعدما أسمع صوتك الذي يطرب أذنيّ، ولا أرى الحب الذي تنشره تلك



السيول في الأرض إلا بعدما أرى ما تكتبه إليَّ، فأرى الحب بين كلماتك والشوق يسري في قلمك، لست ممن يرون الحب لوناً واحدًا؛ فإني أراه مجموعة من الألوان ممتزجة بعضها ببعض، وكونت لوحة فنية لأحد الرسامين المبدعين، وكما تُهيج هذه الألوان في النفوس التي تراها أشياءً لا يمكنني شرحها، فإن هذا الحب يهيج في نفسي شيئاً ما ويجذبني من قلبي تجاه قلبك، خطوة وراء الأخرى حتى وصلت إلى ذروة الحب فأقول لك أحبك يا أنا.

،،،،،،،



الرسالة الثامنة عشر

مع كل شروقٍ جديدٍ يولد الضوء، ومن ينابيع الضوء التي تتفجر في الكون كل صباح يُولد الحب فيتدفق إلى القلوب، يروي ظمأها ويجعلها تنخرط في الاتجاه الصحيح، وهنا يتقابل المتحابون ويسألون بعضهم بعضاً؛ ماذا أتى بك إلى هنا؟ فتأتي الإجابة لم يأتِ بي إلى هنا سوى قلبي، فتتهلل أسارير الوجوه وتهلل القلوب وتحلق الأرواح، وتنفرج الشفاه فتتحرر بعض الكلمات المقدسة المنزلة من السحاب المخضب في السماء، وليس الجميع يراه مخضباً بل أنا فقط، وإن سألت لماذا؟ فسأجيبك بأنه من التقاليد التي تقوم بها العروس في الزفاف أن تُلطخ كفيها بالحناء، ويبقى كفها مخضباً، وإني أرى السحاب مخضباً لشدة شوقي إلى هذا اليوم، أكتب إليك ما لا يمكنني التفوه به أمامك لأن شيئاً ما



يربط لساني ويعقده ويُصبح غير قادرٍ على التحدث، بدأت أفكاري تهجم عليَّ الآن وتتزاحم في رأسي، وعادت إليَّ تلك الهواجس مرة أخرى ،ويخيل لي أنك تقول لأخرى أحبك، لا أكاد أجد وسيلةً لترويض تلك الأفكار حتى تهدأ وأبدأ بالسيطرة عليها وإذا بها تتصارع في عقلي من جديد، كم أود الآن لو أنك معي تحتضنني فتذهب كل تلك الأفكار بعيداً عني، وتبحث عن مأوى غيري، لقد مزقت تلك الأفكار خلايا رأسي وألقت بلهيبها المشتعل فاحترق قلبي وغشي الحزن على ملامحي، حتى أني من شدة الحزن أصبحت باهتة الملامح، ويقول البعض أنني أشبه من أصابهم الهرم، والتجاعيد قد ملأت وجهي ويدي، وأنت لم تأتي بعد كي تهدأ من روعي كما تفعل دائماً، لقد تأخرت كثيراً لكنني سأنتظرك حتى النهاية، حتى إن تألمت من شدة الانتظار، سأتفقد رسائلك بين الفينة والأخرى وأقرأ كل تلك المحادثات بيننا، وأبتسم لكلامك وأشعر كأنك معي وتتحدث إليَّ، سأطلب من كلماتك أن تعانقني حتى أشعر

بالدفء، وسأرسل لك رسائلي معلقة في أجنحة الحمام، وحينما يأتيك أخبره بما تريد، سيتفهم جيداً ما تقوله وينقل لي رسالتك، سأعانقه حينما يأتيني من عندك لأني أعلم أنك عانقته قبلي، وسأرسل لك مع الرياح قبلتي الأولى فتستقبلها شفتاك وتبتسم، وترسل لي مع همسات الليل همستك وتقول لي أحبك فتصلني وتهدهد قلبي وتدغدغ أذنيّ، أتساءل هل تذكرني أم لا؟ فأجدك تقول وهل سهوتُ عنكِ حتى أتذكركِ! ألتفت يميناً ويساراً بحثاً عنك فلا أجدك، وأتذكر حينما أخبرتني أنك معي، حولي في كل مكان، والأهم أنك في قلبي، رأيت في منامي أننا التقينا في مكانٍ ما لا أعرفه، نرتدي ثياباً بيضاءَ مطرزة بشيءٍ يشبه اللؤلؤ في جماله، لا أعرف متى الوقت الذي التقينا فيه عشية أو ضحى، إذ أن الشمس كانت مشرقةً في وسط السماء، والقمر فوقنا يراقبنا في صمت والنجوم حوله نهتدي بها أثناء السير، حتى وصلنا إلى مكانٍ ممتلئٍ بالعشب، محاطٍ بالكثير من الزهور، فجلسنا صامتين لبعض الوقت، وبعدها

قطفت وردة ذات لون أحمر وأعطيتك إياها، وبعدها واحدة بيضاء فنظرت إليَّ متعجبا فأخبرتك أن اللون الأحمر يدل على الحب، أما الأبيض فيدل على النقاء وإذا اجتمعا فهنا يكون الحب النقي؛ لذا اخترت هذين اللونين فأمسكت بكفي ووضعته على قلبك، وأطلقت تنهيدة عالية وكأنك تتأوه من شيء ما، فشهقتُ خوفاً أن يكون مكروهاً قد أصابك، فقربتني إلى جانبك حتى اختلطت أنفاسي بأنفاسك وبعدها أشرت إلى قلبك وقلت: إن في قلبي ألم فامسحي عليه بيديك حتى يغتسل ويُشفى، وإنه لمملوء بالهم الذي أريد أن أُفضي به ولكن لساني يبدو وكأنه فقد القدرة على الكلام، فهلا بقيتِ إلى جانبي لأنني بحاجتكِ؟ فأخذ قلبي يتحدث وليس لساني فحسب، وقالا معا: إن كنت تحتاجني فستجدني إلى جانبك، وإن لم تحتجني فسأبقى إلى جانبك أيضاً؛ لأنني في حاجتك أكثر مما أنت تحتاجني، في حضرتك يطمئن قلبي ولا أخشى شيئاً، وفي حضرتك أيضاً يسري الإلهام في قلمي فلا يتوقف عن الكتابة، وفي غيابك تبدو

الأيام ذات غربة موحشة ويكفهر وجهي، ويبدو الجو كمقبرة يسودها السواد، وأُصبح غير قادرة على التنفس وروحي شاحبة للغاية.

فوضعت كفي بين كفيك وقلت: إن هذا وعدًا بيننا ألا يترك أحدنا الآخر.



الرسالة التاسعة عشر

عزيزي أما قبل؛ فقبلة على جبينك وفوق عينيك، وكلامًا دافئًا يمس قلبك بطيبٍ ولُطف.

أما بعد؛ فكما تعلم فإن رسائلي إليك كلها مملؤة بالحب والشوق، أما الحب فهو لقلبك وروحك الطاهرة الكريمة، وأما الشوق فهذا عقد يزين عُنقي طوال الوقت، أشتاق لرؤية وجهك والجلوس بجانبك دون أن يفرقنا شيء، أرسلت إليك عناقًا مع عصفورٍ صغيرٍ، وقبلة مع الرياح، أخبرني هل وصلك أيا منهما؟ أم كلاهما؟

حبيبي وشقيق قلبي أحببتك بقلب طفلة صغيرة لم تتخطى الثمانية عشر ربيعًا، وازداد حبي لك حتى وصل إلى ذروته، أحببتك بدون سبب يجعلني أحبك سوى أني أحبك، أحبك بلا حدود كالسماءِ كبيرة هي بلا حدود.



تأسرني ذكرياتك التي تحفرها في قلبي وعقلي دوما، تأسرني قبلتك التي تلثم بها جبيني كل ليلة، يأسرني صوتك وأنت تناديني باسمي، فيُحلق قلبي في السماء كعصفور صغير، تأسرني أنت فأنت ألطف ما لدي.

تغيب عني فيرحل معك كل الخير والحب، وأتعثر في خطواتي تائهةً أحتاج لمن يُرشدني ماذا عليَّ أن أفعل وأين عليَّ أن أذهب؟ أين أجدك؟ لا أدري فلن يجيبني أحد، ولن يأخذ بيدي المرتجفة ويطمئنني سواك.

ربما لم تجمعنا صورة واحدة ولكننا سنجتمع عما قريب، لم نتشارك بيتًا واحدًا لكننا سنفعل عما قريب، لم نتقابل ولكن عسى أن تفتح لنا الحياة أبوابها فنتقابل وتقرأ لي بعض الكتب وأُغني لك.

ربما نتقابل فأُهديك عطرًا يُذكرك بي دائماً، وتُهديني خاتمًا أضعه في إصبعي لا أنزعه ما حييت.

وختامًا أُحبكَ ولا شيء آخر.



الرسالة العشرون

رأيتُ في حُلمي أننا التقينا ثانيةً، بدا لي القمر المتصدر السماء أجمل ما رأيت بعد وجهكَ، اصطحبتنِ بعدما وضعت يدي في يدك إلى مكان لم أعرفه ربما صعدنا إلى الجنة في السماء؟ لا أدري ولكني سمعتُ خرير مياه نهرٍ بالقرب منا، ولم يمضِ وقت طويل حتى وصلنا إلى ذلك النهر فأجلستني على حافته وذهبت وعدت إليَّ بوردة بيضاء، وأهديتك وردة حمراء لكوني أعلم جيداً أنك مولع بهذا اللون، فأخذت الحمراء وشبكتها مع البيضاء وصنعت إكليلاً ووضعته على رأسي، وأطلقت لسانك يتحدث إليَّ بكل فصاحة: هكذا أصبحتِ أجمل ملكة في هذا الكون، فابتسمت لقولك ومن ثم قلت: هل تأذنين لي سيدتي؟ فلم أفهم ماذا تريد حتى رأيتك تجذبني إليك، وتضم رأسي إلى صدرك وتعانقني بكل قوة حتى أني شعرت في هذه اللحظة



أنه ربما انكسرت بعضاً من أضلعي دون أن أدري،

وأمسكت بيدي فلثمتها وفعلت المثل مع الأخرى، فكست

الحمرة ملامحي واشتعلت وجنتاي من شدة الخجل،

فابتسمت لي وأشرت إلى القمر الذي يتصدر السماء

وقلت: هل ترين هذا القمر سيدتي؟ فأجبت: نعم أراه جيداً

وأعلم أنه شاهد على كل ما يجري بيننا، فضحكت وقلت:

ليس هذا ما قصدته يا سيدتي، ولكن ما أردت الإشارة إليه

هو جمال هذا القمر المضيء في وسط عتمة هذه السماء،

ولقد شعرت لوهلة أنني هذه السماء المعتمة وأنتِ قمري

المنير الحبيب، فابتسمت وسألتك: هل تذكر ذلك العهد

الذي قطعناه على أنفسنا في اللقاء الأول؟ فأجبت: نعم

سيدتي أذكره جيداً، فقلت: ما رأيك أن نجدد ذاك العهد

الآن؟ ومددتُ يدي إليك فابتسمت لي ومددت يدك إلى

يدي، وقلت: هذا عهد بيننا ألا يترك أحدنا الآخر مهما

حدث، وألا يفرقنا سوى أمر محتوم –الموت– فإن لم تأتنا

المنية فلن نفترق.



فتحدثت بخجل عليَّ أن أذهب الآن، ولكن أردت أن أقول أني أحبك، فسمعتك تقول ليتكِ تعلمين مذاق هذه الكلمة في فمي، إنه أحلى من مذاق الشهد وأنا أيضاً أحبكِ كثيراً سيدتي.

وهذه عدة رسائل كتبتها ماجدولين ولكن لم ترسلها إلى استيفن خوفًا أن يتمكن منه الحزن لأجلها.

،،،،،،



الرسالة الأولى

زرت صديقتي سوزان في قصرها منذ فترة كما تعلم، حتى أشهد حفل زفافها، الفتيات هنا يا استيفن، أقصد في هذا القصر وفي المدن عامة، غير اللواتي عهدتهن في قريتنا الصغيرة، ولا أخفي عليكَ سرًا يا عزيزي، كلما جلست مع إحداهن سمعتها تتحدث عن الزواج من رجل غني لا يملك من الدنيا سوى المال، كي ترتدي الزينة والحلي وهذه الأشياء، لم أرغب يوماً في مثل هذه الزينة، فأنا أعلم أنني لن أجد السعادة في مثل هذه الأشياء، ربما لم أرغب يوماً في الحياة إلا بعدما أحببتك.

أعلم أنك تحاول إيجاد وظيفة، وتحرص على بناء ذلك البيت الذي حلمنا به في الزورق في تلك الليلة، أتذكر؟ إن كنت لا تذكر سوى القبلة التي لثمت بها جبيني قبل رحيلي



عنك، فأنا أذكر الليلة بأكملها، بل وأذكر أنها أحب ليلة إلى قلبي.

لقد رأيت اليوم صديقك إدوار الذي كنت حدثتني عنه قبل اليوم، أذكر أنه قال أن هناك صلة قرابة بينه وبين سوزان لذا حضر الحفل، يبدو عليه المرح ولا يُشبهك يا استيفن، لن أرسل إليك خطابًا مثل هذا حتى لا تنزعج من حديثي عن الفتيات والرغبة في الزينة، ولكني أحبك دون أن تأتي إليَّ بهذه الزينة، أحبك دون سبب، كما أننا أشقياء يا استيفن لا نعلم شيئاً عن هذه الرفاهية والزينة، وإنما نحلم بالحب ونبحث عن السعادة أحبك كثيراً.

''''''





الرسالة الثانية

من ماجدولين إلى استيفن؛ هذه رسالة أخرى لن أرسلها إليك، ولكن أكتبها حتى تُذهب عني بعضاً مما أشعر به.

كنتُ قد أفضيتُ بالسر الذي بيننا إلى صديقتي سوزان، فحدثتني أنه عليَّ ألا أنتظرك حتى تجمع المال وتأتي لتطلبني من أبي، وهذا لكونك شقياً ولا ينبغي لنا أن نجتمع، بل عليَّ أن أختار رجلاً آخر سعيد وغني، أهنأ بالعيش معه وتبحث أنت أيضاً عن أخرى تستطيع أن تمنحك السعادة.

أخشى أن سوزان محقة فيما تقول، لا يزال قلبي يخفق بشدة منذ سمعت كلامها، وأفكر كثيراً فيما قالت حتى أن تفكيري في هذا الأمر شغلني عن كل شيء في حياتي، أتخبط بين أفكاري وكأنها جدران غرفتي، فتتقلص فجأة من حولي وتحاصرني فتخنقني العبرات، وأبدأ بالبكاء والصراخ حتى





أتجمد في مكاني، وكأنما سكرة من سكرات الموت نزلت بي، ولا يعلم أحد عنها شيئاً.

أتدري يا استيفن ما المؤسف في الأمر، والذي يجعلني أبكي؟ إنها صديقتي يا استيفن.. صديقتي التي لا أملك غيرها وتمثل نصف قلبي، يبدو أني أتلقى الخذلان دائماً من أقرب الأشخاص، تارةً من أبي، وتارةً من صديقتي، ولا أعلم من سيخذلني في المرة القادمة، ولكن أرجو ألا تخذلني أنت الآخر يا استيفن، فأنت كل ما تبقى لي في هذه الحياة، ولستُ أبكي إلا لأجلك.

نحن محاطون دائماً بالخوف المتذبذب في قلوبنا، وأنا أكتب حتى يذهب هذا الخوف عني، أرجو ألا أكون ضحية لأفكاري المتمردة والسلام.

،،،،،،



الرسالة الثالثة

من ماجدولين إلى استيفن؛ آسفة لأنني لن أستطيع مقابلتك اليوم يا استيفن في المكان الذي تعاهدنا على اللقاء فيه، فلقد دعاني صديقك إدوار للرقص معه

في الحفلة التي أقامتها سوزان في قصرها، ولم يزل يقنع بي حتى وافقت على طلبه وأذعنت له، وخُيل إليَّ وهو يرقص معي أنه أنت، فابتسمت وغمرتني السعادة فجأة وقد طار من عيني الحزن والبكاء، فلما انتهت الحفلة جلس إلى جانبي يحدثني عنكما في الصغر، فغمرتني السعادة لأنني التقيت بشخص يعلم الكثير عنك، وجلستُ أستمع إلى حديثه واستلطفته كثيراً، حتى أننا أصبحنا أصدقاء ولقد فرحت صديقتي سوزان لهذا، وأخبرتني أنه لشيء جيد أن أتخذ من إدوار صديقاً لي إكراماً لك، فعجبتُ لكلامها وفوجئت بهذا، لأن سوزان كما تعلم ترفض قصتنا، وهي تذكرني



دائماً بأنك لا تليق بي ولا أنا أليق بك، ولكني لم أشأ أن أسألها، فلربما عدلت عن رأيها بعدما علمت بما في قلبي لك من حب، وأن سعادتي لن تكون مع شخص غيرك، ولم أشعر بمرور هذه الساعات الطويلة، فلقد استأنستُ بمجاورتي لصديقكَ، وقد كان كلامه عذبًا بعض الشيء.

أعتذر إن أطلتُ الحديث عن صديقك، وأعلم أن الأمر سيزعجك، ولهذا السبب لن أُرسل لك هذه الرسالة أيضاً.

أعلم أنك تظن أني توقفت عن الكتابة لك، ولكني لم أفعل، فأنا أكتب إليك كثيراً يا استيفن ولكن أخشى أن تقرأ رسائلي فيحزن قلبك، وتنفر مني روحك وتتوقف عن حبي؛ لذا قررت ألا أرسل إليك هذه الرسائل إلا في الساعة التي تأتيني فيها المنية، وأرجو ألا تنزعج مني والسلام.

،،،،،،،

الرسالة الرابعة

من ماجدولين إلى استيفن؛ لقد حلّت بي مصيبة من أكبر مصائب الدهر يا استيفن، لقد تقدم إدوار لخطبتي، ووافق أبي وسوزان وكانت قد أعلمت إدوار من قبل، أن أبي يحب الحديث عن الزهور وأنواعها فاقترب من أبي ولم يزل يحادثه حتى أُعجب به، ووافق على خطبتي منه.

ولم أكن على علم بكل هذا حتى أخبرتني سوزان اليوم، فشعرت بالذعر والفزع وبدت علامات الموت على وجهي، أصابتني الحمى وأصبحت أستيقظ طوال الليل أهذي باسمك، وأعود إلى حالة من الذهول مرة أخرى، فلا أنا مدركة ما يجري حولي ولا يسمعني أحد حينما أهتف اسمك وأصرخ بحبي لك، يقولون أني سأشكرهم على صنيعهم معي بعد عمر طويل، ألا يعلمون أني لن أستطيع البقاء على قيد الحياة لعمر طويل؟! فأنا لن أحيا بدونك يا استيفن.



ماذا أفعل في هذه النكبة يا استيفن؟ لقد جاءني الحب ذات مرة من حيث لا أدري، وأحاط الخوف قلبي من حيث لا أعلم، واليوم ها هو الموت يضمني إليه، وسكراته تشتد عليَّ ولست بخير، أفيق فيغمى عليّ، وأفيقُ فيغمى عليَّ مرة أخرى، فأتمنى لو أنني ألقى حتفي الآن بدلاً من هذا العذاب الذي يلتف حولي ويكاد يحرقني.

ليتني ما طلبتُ منك الرحيل في ذلك اليوم، بل ليتني لم أذهب لزيارة سوزان في قصرها، ولم أوافق على طلب صديقك إدوار حينما طلب مني أن أرقص معه، ليتني تحدثت إلى أبي كثيراً حتى يوافق عليك وبقيتَ معي نتسامر معاً تحت أشجار الزيزفون!

آهٍ يا استيفن ماذا أنا صانعة في الحياة بدونك؟!

،،،،،،





الرسالة الخامسة

من ماجدولين إلى استيفن؛ رأيتك منذ عدة أيام وأنت تحاول دخول القصر مختبئاً بين الخدم، ولقد رأيت أحدهم يهبط عليكَ بسوطه وهو يظنكَ واحداً منهم، شعرتُ وكأنما أنا التي ألهبها السوط، أردتُ أن أخرج إليك فأحمل عنك شيئاً من ألمك، وأصرخ في وجه ذلك الرجل من أنت كي تضربه هكذا؟

ولكن ما أن رأتني سوزان وعلمت بما يدور في عقلي، حتى أخذت بيدي ومشت بي بعيداً، وقالت لي: لقد جن جنونك، أراكِ تذرفين الدمع على ذلك الفتى الشقي الفقير، أهذه شفقة أم حب؟

أنصتي إليَّ يا ماجدولين، لن أدعكِ تلقين بنفسك في هذا العالم الحزين الفقير، انظري إلى إدوار، إنه فتى ظريف له





سمعة طيبة ويملك ثروة طائلة، وبإمكانه أن يحبكِ ويهتم بكِ إن منحته فرصة لذلك.

صدقيني لن تحتاجي أكثر من الزينة والحب، امنحي إدوار فرصة، ولن تتذكري ذلك الوجه البائس مرة أخرى، فلم يعجبني ما قالته، وحدثتها عن شقائي وشقائكَ، ونحن لدينا الكثير من الصفات المشتركة بيننا، وأرواحنا تألف بعضها ونشعر بمودة في قلبينا، لمَ علينا أن نفترق؟

فقالت: لقد أحب العالم قلبه العليّل ووجهه الشقي النافر من الحياة، وأحب العالم قلبكِ الدافئ، ولكن لن يحبكما أحد معاً، إن كنتِ شقية يا ماجدولين فلا بد لكِ من رجل يُسعدكِ، رجلٍ يستطيع أن يمنحكِ كل ما يرغب فيه قلبكِ وتخبئينه داخلكِ، وإدوار هو هذا الرجل، أما استيفن فأظن أنه من الأفضل أن يتزوج من تلك الفتاة التي اختارها له والده، فهي من عائلة غنية وتستطيع أن تمنحه السعادة، فإن



كنتِ تريدين السعادة لاستيفن، فعليكَ أن تُضحي لأجله هذا إن كنتِ تحبينه حقاً.

كما أن المرأة تحتاج إلى رجل تفخر به بين أصدقائها، يُذكر اسمه بين جمعٍ فيذكره الجميع بالصفات الحسنة، فتتباهى امرأته بذلك، أخبريني يا ماجدولين ماذا يميز صديقكِ سوى الشقاء والفقر؟

إن كنتِ تظنين أن اجتماعكما معاً من الممكن أن يُذهب تلك العلة في قلبيكما، فأنتِ مخطئة، نحن دائماً ضحايا توقعاتنا المفرطة.

فكري بهدوء وروية، فكري في استيفن وإن كنتِ تتمنين له الخير، وتريدين له السعادة الأبدية فاتركيه.

رحلت سوزان وتركتني أتخبط بين كل كلمة قالتها، ربما هي على حق فيما قالت، وربما كنتُ مخطئة حينما فكرت بنفسي وأنني سأكون بخير مع استيفن، ولم أفكر به، فأنا ضعيفة ولن أستطيع منحه السعادة، هذه الأفكار كلها



كانت تدور في عقلي، لذا قررت كتابة هذه الرسالة حتى أُفرغ ما بجعبتي من ألم، والسلام.

الرسالة السادسة

من ماجدولين إلى استيفن؛ رأيتُ اليوم في صورة الشروق إلهاماً كبيرًا، بدت لي الشمس قرصًا دافئاً، تصيبنا الأشعة الصادرة منه فتمدنا بالدفء، وزقزقة العصفور الأبيض التي لا تنقطع كل صباح، بدت لي هذا اليوم كتغريدة جميلة، وافتتن بها قلبي فتشققت السماء وانقشع الظلام وحل الضوء، حل يوم جديد بسماء جديدة التصقت بها الغيوم.

أتدري يا استيفن، في صغري كنت أظن أن هذه الغيوم هي نفسها غزل البنات الذي نأكله، فكنتُ أشير بأصبعي إلى السماء وأقول لأبي دوماً: أريد هذه الغيمة، فيمد لي يده بغزل البنات ويقول: لو استطعت أن أصعد إلى السماء فأقبض بيدي على غيمة من الغيمات وآتي بها إليك لفعلت، فأنا لا أطيق رؤيتكِ تشتهين شيئاً ولا أجده لكِ، هذا كان أبي الذي أعرفه منذ صغري، يمنحني السعادة

ويوفر لي كل طرق السعادة فلا أشكو من حزنٍ أبدًا، أما اليوم فأرى أبي مفتونًا بإدوار ويريد أن يزوجني إياه، إنه يطلب مني أن أمحوك من ذاكرتي يا استيفن وما أنا بصانعة هذا، وإن أصر إدوار على خطبتي، سأكتب إليك حتى تأتي إلى هنا ولنبحث معاً عن حل لهذه النكبة، أريدك أن تعلم أني أحبك حتى وإن كانت هذه آخر ساعة لي في هذه الحياة، فأنا لا أفكر في شيء إلا أنت، ولن أغفل عنك يوماً، بل دقيقة واحدة سأخبرهم أني أحبك ولا أريد غيرك، سعادتي ستكون معك لا مع صديقك، لقد قطعت عهدًا على نفسي ألا أكون لأحدٍ غيرك.

،،،،،،



الرسالة السابعة

من ماجدولين إلى استيفن؛ لقد تمت خطبتي لإدوار ولم يكن هذا بموافقتي أو برضًا مني، ولكني آسفة للغاية، يؤلمني ما حدث ليس لأني أحبك فقط، بل لأجل ذلك العهد الذي قطعته على نفسي؛ بألا أكون لأحد غيرك، واليوم ها أنا أصبحت لصديقك.

أتعلم يا استيفن إن إدوار ليس سيئاً، بل أنه فتى ظريف، وفي قلبه لطف بعض الشيء، يمكنه أنه يأسرك بحديثه عن ماضيه ومواقفه الترفيهية، أنا لا أحبك ولا أبغضك يا استيفن، وكذلك إدوار بالنسبة لي، نسيت أن أقول لك بأن سوزان قد تزوجت، وأصر زوجها على الانتقال إلى بلد آخر، وليس معي أحد من أصدقائي هنا، وأبي وإدوار منشغلان بالحديث عن الأزهار، ويقول إدوار لأبي إنني سأكون بخير



معه، سيعطيني ما أريد ويفعل لأجلي كل شيء، ولقد اطمئن أبي لهذا كثيراً.

أتعلم يا استيفن، في الماضي كان أبي حريصاً كل الحرص على جعلي سعيدة، يوفر لي أسباب السعادة حتى تلك البطاقات البنفسجية التي أحبها، لم يمنعني منها يوماً بل كان يجمعها لأجلي، في الماضي كنت أرى كل أسباب السعادة تطوف حولي، والآن أفتش عن السعادة فلا أجدها.

لم يعد النوم يعرف طريقاً إلى عيني، وبات الأرق هو صديقي، يلازمني ولا يتركني للحظة واحدة، ربما تسمع أنين قلبي العليّل وأنت في بلد آخر، وربما يعصف الحنين بجوانحي، ولعل روحي تسافر إليك عندما يزورها الحنين، فترتمي بين أحضانك وتلثم جبنيك وتضمك وتقترب منك أكثر فأكثر، ولولا أنها تخاف أن تصبح صحيفتها البيضاء بها نقطة سوداء؛ لاقتربت من شفتيك وهي تلهث ولثمتك فيهما



كما يفعل الحبيبين، ولكن لن يحدث هذا ولا ذاك، وكل ما أرجوه أن تسامحني يا استيفن، فالأمر لم يكن بيدي يوماً.

،،،،،،،



الرسالة الثامنة

من ماجدولين إلى استيفن؛ مر عامان لم نلتقِ فيهما يا استيفن، لم أرَ وجهك المحبب إلى قلبي، ولم تكتب إليَّ رسالة واحدة تطلعني فيها على حالك، وهل وجدت عملاً أم لا؟ وما حدث لأوجين في الحرب؟

أعلم أنه لم يعد من حقي أن أكتب إليك كل هذه الرسائل بعدما حدث ما حدث، ولكن لا أستطيع منع قلبي عنك، ولا أستطيع نسيانك كما طلب الجميع مني، حتى عقلي قد بات مشغولاً بك أكثر مما في الماضي، لا أستطيع تخيل حياتي من دونك، ربما يهيئ لي إدوار المال والرغد وزينة الحياة جميعها، ولكنه لن يوفر لي طريقا ألتمس فيه السعادة.

ما أقصده هو أنني لن أكون سعيدة معه، ولن أستطيع الحياة معه، فلقد حلمت بحياتي معك أنت.



دعك من إدوار وأخبرني، لم توقفت عن كتابة رسائلك إليَّ؟

ترى هل وجدت ما يشغلك عني فتوقفت عن الكتابة إليَّ!

لقد بدأ القلق يتسرب إلى قلبي وعقلي، لا تعذب نفسك يا استيفن، إن لم تجد عملا فارجع إلى هنا فلقد وافق أبي على إدوار وانتهى الأمر.

دعني أحدثك قليلا عن الحياة هنا، أقصد في القصور الكبيرة كقصر سوزان، إن الحياة مختلفة للغاية عن الحياة في بيتنا الصغير وقريتنا التي لا يحمل أفرادها بينهم أي حقد أو كره، هنا الزينة والحلي والأشجار والخدم يملؤون المكان، فيلبون الرغبات وينفدون الأوامر حتى يحصلون على المال، ويظنون أن في المال سعادة، لا أدري كم من الوقت والعمر أحتاج لأخبر الجميع أن السعادة ليست في المال الكثير، وليست في القصور، فمثلاً في بيتنا أنا وأبي، تتوفر لي كل أسباب السعادة بالرغم من صغر البيت وضيقه، ولكن كنت أرى فيه كل شيء يدعو إلى السعادة، أشجار الزيزفون التي



حفرت اسمي عليها، والأزهار البنفسجية اللون والخاتم الذي نسجته من تلك الشعرة التي نزعتها عنك في ذاك اليوم، أتدري يا استيفن أنني لم أخلع خاتمك حتى الآن؟! ولا أدري إن كنت أستطيع إبقائه في يدي أكثر من هذا أم لا، ولكني أفتقدك كثيراً وأفتقد كل ذكرياتنا سوياً.

،،،،،،،



القليل من ألم ماجدولين

بين آهات الروح ووحشتها المظلمة تولد الأفكار المميتة، إنه لأمر جيد أن تكتب عن أنين قلبك وألمك، وتفضي بكل ما يحزنك، حينها ستبكي الحروف المصطفة بجوار بعضها البعض، ويرى الجميع حروفاً كعبرات تهطل من الأعين هطول السيول من السحب في السماء.

كانت ماجدولين إذا اشتد عليها الألم أكثرت من الكتابة عن استيفن، بالرغم أنها لم تبعث برسالة واحدة مما كتبت، إلا أنها كانت تكتب حتى تُذهب عنها الألم والحزن، وهذا أمر يُحسب للقلم، فإنه الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يتحمل حزنك دون ملل، وألمك دون كلل أو تعب.

أحيانا أظن أن أجمل ما خلق الله في هذا الكون هو القلم، ولكن للقلم حق علينا، ولذا لا أحاول السيطرة عليه، ولقد كتبت ذات مرة عن القلم حديثاً كبيراً، ذكرتُ فيه:



لستُ أفهم معنى من معاني الحرية إلا "أنها شمس يجب أن تُشرق في كل نفس، فمن عاش محرومًا منها عاش في ظلمةٍ حالكةٍ متصلة، أولها ظلمة الرحم، وآخرها ظلمة القبر" هذا حديث عن الحرية للمنفلوطي اتخذتُ منه عنوانًا للحديث عن حريةِ القلم.

أذكر أني حاولت ذات مرة السيطرة على قلمي فلم أُفلح، ولم يرضخ للإنصات إلى أفكاري المتمردة، ولكنه تحرك ليبث كل ما بداخله، وكأن السحاب الأحمر في السماء قد فجر كل ما بداخله في أرضٍ قاحلة، وكأن وحيًا من السماء مُتصلٌ بالقلم يخلع عن صاحبه رداء الزيف، أقصد أن هذه الكلمات ليس فيها زيفٍ للمشاعر أو مبالغةٍ في الحزن، بل الحروف وحدها تُكتب بحزن عميق في بادئ الأمر، ومن ثم تتحول إلى سطور مصطفة جنبًا إلى جنب، تنهمر لها العبرات وتحزن لها النفوس، وتتصدع لها الأرواح، وتتألم لها القلوب، ولكن قبل أن تُخبرنا عن حرية قلمك، اعلم أولاً بأن للقلم حق عليكَ، فلا تستخدمه في سوء ولا تُحاول الإساءة إليه،



بل استخدمه بحكمةٍ وتعقل، ولا تتوقف حتى تجعل الجميع يقرأ.

من وحي القلم كُتبت سطور الماضي، وقصص وأساطير مختلفة نسمع عنها ونقرأها كل يوم، من جوف الحزن ورحم المعاناة دائماً ما يولد شيء يوثق صلتك بالأدب والشعر، وإن الكاتب بحق لهو الذي يكتب الكلمة فيصل معناها إلى كل قارئ، وليكن وراء كل كلمة حكمة ورسالة نبيلة تدافع عنها ما حييت.

وأظن أن هذا كان حال ماجدولين عندما أصابتها الحمى، فلم يكن يشغلها شاغل سوى استيفن والكتابة له، منكبة على وجهها ليلاً ونهارًا، لا تقوم سوى لصلاتها، فتشكو وتتضرع، ويأتي الليل فتتذكر كل شيء، وتتدفق كل ذكرياتها المرحة مع استيفن إلى عقلها فتتمزق روحها، ويصدر عنها آهاتٍ تشبه لحن بيتهوفن الحزين، بينما تتمزق أوتار القلب حتى تريد أن تذهب بتلك الغلة في قلبها،



فتكتب وتبث كل شكواها، حزنها الشديد وفرحها لذكرى أدركتها وهي تكتب، وأحياناً كان يخيل إليها أنه جالسٌ أمامها، تخبره أنها تحبه وما تخلت عنه قط، ولكن الأمر أكبر من أن يكون في يد فتاة شقية، أو تبكي وتذرف العبرات حتى تمتلأ وسادتها بعبراتها وتنام، وهي على هذه الحال.

،،،،،،،



خواطر استيفن

في ليالي ديسمبر المتسمة بالأمطار والكثير من البؤس والشقاء، في ليلةٍ حالكةٍ اتشح فيها الكون بالسواد، وابتلع الظلام كل الأمكنة، وخيم الهدوء ولم يبقَ سوى صوت خرير المياه المتساقطة من الغيوم، ورائحة التراب المبلل هي الرائحة السائدة في الجو، تمشيت في الحديقة الخلفية لبيتنا وبيدي كوب من القهوة يملئني بالدفء، جلست تحت أشجار البلوط هنا ريحان وعلى الجانب الآخر فل وياسمين، لا ضوء سوى ضوء النجوم التي تزين السماء في هذا الوقت المتأخر من الليل، وفجأة ترامى إلى أذني صوت لحنٍ جميلٍ، أسرني ذلك اللحن فتبعته حتى وصلت إلى سرب من العصافير تغرد الكثير من التغاريد المختلفة، ولكنها تنتهي كلها بكلمة" د س ر خ□ش د ر " ظننت أنهم سيفرون بعيداً بمجرد رؤيتي، ولكن بدا لي عكس ما توقعت، فقد

شكلت هذه العصافير سهماً أرشدني إلى غرفة صغيرة لم أكن على علم أنها في بيتنا من الأساس، دخلت إليها وشيءٌ من الريبة والخوف بداخلي، وسرعان ما تحول هذا الخوف إلى دهشة، حينما وجدت مكتباً صغيرًا عليه بعض الخطابات، أمسكت بخطاب من بينهم مكتوب عليه؛ إلى ابتسامتكِ التي كانت أجمل ما رأت عيناي، إلى عينيكِ اللتين تشكلان أوسع عالم حلمتُ به.. إليك يا ماجدولين.

إلى ماجدولين؛ لا أستطيع رؤيتكِ الليلة أيضاً، لن يغمض لي جفن، وبالطبع سأبقى متيقظاً طوال الليل أحاول تذكر عينيك العسليتين وأرسمهما، أحاول تخيل أنه مضى على عدم رؤيتي لكِ سنة كاملة، لربما تغيرتِ فيها وأصبحتِ أكثر جمالاً، لا أعلم لماذا انقطعتِ عن كتابة المزيد من الخطابات وإرسالها إليَّ حتى تؤنسني في وحدتي هذه، أشعر بغربةٍ شديدةٍ ووحدة أصبحت مألوفة لدي بعض الشيء، ولكن يتملكني الآن شعور بالحنين إليك، إلى تقبيل يديكِ، إلى



عناقٍ ربما، إلى نظرة واحدة لعينيكِ فيبتعد الخوف وتحل الطمأنينة، طاب مساءك عزيزتي.

تملكني شعور غريب بعدما قرأت هذا الخطاب، وعزمت على قراءة بقية الخطابات، ولكن بقي سؤال واحد يشغلني، هل يوجد حب الآن حي بيننا كحب استيفن وماجدولين؟

كل العلاقات الإنسانية متوترة الآن، فلا تجد هذا يعترف بحبه بالرغم أن لا شيء يملأ قلبه سوى الحب ولكنه خائف، أيخاف المرء من الحب؟ "إن الخوف من الحب هو الحب نفسه" وهذا ما قاله المنفلوطي، لكن لا أظن أن الخوف هنا هو خوف من الحب، بل خوف من الاطمئنان والهدوء اللذان يصاحبا الحب، وحينما ينتهي يفنى كل شيء معه ويهلك المرء، خوفٌ من فقدان الشغف المتزايد هذه الأيام تجاه من يُحب، قلوب هذه الأيام معلقة بين الخوف والرجاء والحب ولا تعلم أين مرساها.



أُحب دائماً تلك الحكايات القديمة التي كان جدي يرويها لي حينما كنت صغيرة، وأذكر من بينهم جميعا قصة محفورة في ذاكرتي منذ أن رواها لي، بالرغم أن عمري حينها لم يكن ليتخطى خمس سنوات، ذات يوم أُصيب استيفن بالحُمّى وليلتها كان قد مضى على فراقه وماجدولين عدة سنوات –أظن أن هذه السنوات كانت تكفيه ليتوقف عن حب ماجدولين وتنساها ذاكرته– جلست أمه إلى جانبه وهو طريح الفراش تضع وشاحها على جبينه، وتمسك الكتاب المقدس وتقرأ عليه لعله يُشفى، إلا أن أنفاسه كانت سريعة للغاية محملة بنيران تلفح وجهك إن اقتربت منه، بدا وكأنه في صراع ما، ربما صراع مع ذاته، أو ربما صراع مع عقله وقلبه، أو ربما صراع مع أنفاسه، وضربات قلبه المتزايدة كي ينجو مما هو فيه، اشتدت عليه الحُمى فبدأ بالهذيان " لا تنزعجي مني.. لا تتركيني يا ماجدولين" " أحبكِ يا ماجدولين وإن لم أُصرح بها يوماً" " تعالي إليَّ يا ماجدولين أريد أن تُعانقيني فتهدأ ثورة قلبي، أريد أن أُلثم

جبينك اعتذاراً على كل ما بدر مني، أريدك بجانبي فلا تتركيني أتهاوى في ذاك الظلام مرة أخرى، اتركي الرياح تحملنا وأعدكِ أنني سأعزف على الناي، وننصتُ إلى تغريدات العصافير تشاركيني حب ما أحبه وأشاركك حبكِ للكتابة!" عندما استيقظ سألته أمه ألا زلتَ تذكرها يا بني؟ فقال: وهل السنوات كافية لأن أتوقف عن حُب ماجدولين وهي أول من دق لها قلبي؟

لا أُخفيكم سرًا فعندما روى لي جدي هذه القصة، تعجبت من كل هذا الحب ودعوتُ أن أُرزق بحب كهذا.

الآن وبعدما ذهب جدي أبيتُ الليلة ولا أجدُ من يضمني ويروي لي حكايات كهذه، ولا أجد من يُنصتُ إلى دقات قلبي فيعلم أني خائفة فيمد يده ليربت بها على يدي حتى أطمئن، لا يوجد من يرى دموعي تُداعب وجنتي فيمد كفه ليُزيل آثار هذه الدموع، لا يوجد من يُنصت إلى اضطرابي وشكواي من عقلي كثير التفكير، وروحي شديدة التعلق

أقصد المزقة الهالكة، وقلبي الخائف من كل ما حدث وما سيحدث دائماً.

حفيدتك تشتاق إليك يا جدي، تحتاج لرؤية عينيك الدافئتين ولأن تحضن وجهك بين يديها، تحتاج إلى عناقك فحسب وبعدها سيكون كل شيء على ما يرام.

في الليلة الأولى من نوفمبر، أمطار قوية وصوت الرعد يدوي في الأرجاء، وعاصفة تمر على البيوت فتخلع القلوب العامرة بها لا الأشجار، مقطوعة عزف مؤلمة للغاية يُنصتُ إليها وبيده التي أصابها الدهر بالخدوش يُمسكُ بعض الأوراق وقلم بسيط وبدأ يكتب. يقولون في الحب أنه أشبه بتلاقي روحين ائتلفا منذ أن خلقهما الله، ومن يُحب يرى المُحب جميلاً، وأنتِ في عيني يا ماجدولين جميلة للحد الذي لا يُمكنني وصفه بكلمات."إلى كل كلمات الحب التي جاءت متأخرة أعتذرُ إليك، ولكن القطار قد رحل قبل وُصولي إلى المحطة ببضع دقائق" عزيزتي ماجدولين ابتعدنا



وقلبي مملوءٌ بالهم في هذا البُعد، لو تعلمين فقط كم أنا مشتاق إليك الآن، أود معانقتك فيستكين قلبي.

" إلى أكواب القهوة التي طال الزمن وهي تنتظر أن نرشفها سويًا أعتذر لكِ، ولكن الوحدة والعزلة أفضل"

حبال من الشوق تلتف حول عُنقي وتكاد أن تقضي عليَّ، القليل من الذكريات والكثير من الأفكار، مزيج من الألم والضجيج في عقلي، وأنا وحدي في وحشة الليل أتوغل في ظلمته وأصرخ هل من مُغيث؟

"إلى كل فرحة كانت في طريقها إليَّنا وتعثرت بخيبة مني، أعتذرُ لكِ ولكن لا أظنُ أنكِ خلقتِ لأجلي"

جفت مُقلتي ولم يعد بوسعي أن أنزف بعض العبرات فأبرد بها قلبي العليَّل، أريدكِ ليستقيم قلبي يا ماجدولين، اعتراني الحزن فجأة ودون سابق إنذار تجمعت كل الأحزان في قلبي وعقلي، وكأني في حرب أُقاوم فيها بجسد أصابه الهلاك وروح ممزقة.



"إلى الطائرة الكبيرة التي حطت في مطاري وكنتُ في غفلة عنكِ أعتذر لكِ، ولكن أظن أنكِ كنتِ ستزيدين حزني"

أقبض في يدي على قطعة من الجمر وأحسب أن هذا الجمر قلبي، وأخاف أن أُفلته من يدي فيُصيبكِ الألم يا ماجدولين.

"إلى كل النهايات السعيدة أنتِ كاذبة، إلى كل رسالة كتبتها ومزقتها في لحظة غضب لا تنزعجي فهذا أفضل لي ولكِ، إلى كل كلمة لم أبح بها شكرًا للنار التي أوقدتها داخلي ولكني مملوء بالنار الآن"

إليك يا ماجدولين لم أُحب غيرك ولا شيء يملئني سوى حبكِ، يقولون أن الحب راحة وإن لم أظفر بالراحة منذ أن أحببتك لم أحصل، إلا على الشقاء والألم.

انتهى من الكتابة، ثم طوى الورقة ووضعها بجانب كومة كبيرة من الأوراق المطوية مثلها، وأشعل فيها النار وقال: جميع هذه الرسائل كُتبت في لحظة حنين وشوق، وأعترف أني أحبكِ يا ماجدولين ولكن كرامتي تمنعني أن آتي إليك

زاحفًا، كل شيء هنا يمنعني ولكن مع هذا أحبكِ، شعر بدوار بسيط فاستند على مقعد بجانبه وقال: رشفة واحدة من الحب سلبت مني روحي.

كانت هذه آخر كلماته ونامت بعدها روحه للأبد.

في بيت على الطراز القديم يأتي صوت موسيقى مختلطة بصوت استغاثة قلب أحدهم، في زاوية صغيرة بعيدة عن أي مصدر للضجيج أحدهم يمسك بيده دفتراً صغيرًا ويتصفحه ببطء، في الصفحة الأولى هنالك صورة لفتاة ذات بشرة بيضاء، ينسدل شعرها حتى الكتف تُزينه بربطة من اللون الأحمر تُشبه لون الفستان الذي ترتديه، وفي الصفحة المقابلة لها مكتوب؛ عزيزتي ماجدولين: كنتِ اليوم رائعة للغاية، بالطبع لم أستطع إخبارك بهذا أمام الجميع، لأنكِ خجولة للغاية وإن كنا متشابهين في هذه الصفة.

وفي صفحة تليها صورة لنفس الفتاة بفستان أزرق وهي ممسكة بكلتا يديها زهرة وتتأملها، كُتب مقابل هذه



الصورة، عزيزتي ماجدولين: إليك كلامي وإن لم يصف حُسنك فأنتِ ذات الحسنيين، أردتُ أن أخبركِ أنكِ كنتِ جميلة للغاية وأنتِ تُوقعين عقد روايتك الأولى، وأيضاً وددتُ أن أقول أني فخورٌ بكِ، ربما كنتِ قلقة وهذا ما حدثتني به نفسي، فتمنيتُ حينها لو أن الأمر بيدي لكي أربت على كتفك وأُطمئنُ قلبك.

العديد من الصفحات ممتلئة بصور ماجدولين، ويقابلها العديد من الخطابات، ولكن هناك خطاب لفت انتباهي أمام صورة لماجدولين بالقلم الرصاص، مكتوب فيه عزيزتي ماجدولين: لقد أحببتكِ يا ماجدولين واعلمي أن الحب ليس بخطيئة، بين مجاهدة النفس كي لا تقع في المعصية وآهات الحب الصادرة من الروح وقعت روحي في حبكِ، ووقع الحب في قلبي ولم أستطع أن أطرده من قلبي ولا حتى لساني! حُبكِ جعل قلبي ينبض وأنتِ تعلمين قانون الحياة، من أعاد قلبًا محطماً للحياة ورممه وأكرمه نقول له حُبّاً وكرامة، فهذا قليلٌ من الحب يزيد عن التعرجات

والمصاعب والكثير من الكرامة لكِ، أعلم أني لم أخبركِ من قبل عن حبي لكِ، وهذا لأن قلبي معلق بين الخوف والرجاء خوفٌ ألا يكون في قلبكِ نفس الحب الذي في قلبي، فيتوارى كل منا بعيدًا عن الآخر أما الرجاء؛ فأنا لا أرجو سوى أن يدوم الحب بدل الحزن.

أغلق الدفتر بعدما فاض به الشوق والحنين، وعادت به ذكراه ومسح على رأسه الذي اشتعل شيبًا، وبينما دموعه تهطل وجد يدًا تمتد لتربت على كتفه وتُكفكف دمعه، وصوت يقول: أصابك الشيب ولا زلت تذكرها؟!

فقال: وهل يغفل المرء عن حب روحه يوماً؟!

فارتفع ذلك الصوت مجددًا وقال: لكنها لم تعد هنا.

فقال: لا تفارق الروح الجسد، وأثق بأن روحها تراقبنا الآن من بعيد وتشعر بحبي لها.





ومن بعيد روح تُحلق في السماء وتقول: طاب مساؤك عزيزي استيفن، لا تفارق الروح الجسد؛ لذا لا أفارقكَ، لا زلتُ أراقبكَ وأحبك.

من استيفن إلى ماجدولين؛ لقد وجدتُ عملاً في مدرسة صغيرة، وأظن أنه أفضل من لا شيء، وجدتُ لي غرفة اتخذت منها مأوى ليس فيها سوى منضدة وهذا المقعد الذي أجلس عليه لأكتب إليك، ادخرتُ قطعتين نقديتين من أول أجر أخذته، وبعثت بمثلهما لأخي أوجين، ولكن ماذا عنكِ؟

أرى أنكِ توقفتِ عن الكتابة إليَّ منذ مدة طويلة، هل أصابكِ مكروه؟ لا تجعلي أوصال الخوف تدب في قلبي، وإن أتتكِ هذه الرسالة وقرأتِ ما كتبته إليك، فأجيبينِ، لم انقطعت رسائلكِ عني؟



لقد بعثتُ بمقال كتبته إلى إحدى الجرائد، وآمل أن يتم الموافقة عليه وأحصل على هذه الوظيفة أيضاً، كي أوفر لكِ كل ما تريدين، سأتبع الرسالة بالمقال.

أتعلمين يا ماجدولين إن في النفس الإنسانية مشاعر منبوذة، فهذا الفقر قد وضعه الله بين أهل الأرض والغنى مثله فتصارع الغني والفقير، وتخاصما لأجل الغنى والفقر، وإن لكل رزقه لن يأخذ أقل منه أو أكثر، ولكن هذا الغني يغلب عليه البخل فلا يعطي الفقير، وهذا الفقير ينظر إلى الغني بعين الطمع، فإما أن تحدثه نفسه بالسرقة، وهذه صفة منبوذة ممقوتة، وإما أن يمتلأ قلبه بالحقد والبغض، وأظن أن الإنسانية ستتخلى عنّا في يوم من الأيام لما تراه منا، ومن كثرة هذه الصفات البغيضة التي لا منشأ لها إلا الإنسان.

وهذا الخطاب هو الذي حدثتكِ عنه؛ من رحم المعاناة يولد دائماً شيء ما يوثق صلتك بالأدب والفن، لم يُخلق الكاتب من جوف حياة سعيدة مملؤة بالترف والنعيم والزينة، وإنما



من جوف حياة تعددت بها النكبات واشتد فيها الألم
وتشابكت خيوط الوحدة حول القلب، فكُتبتْ سطور هشة
لا يُفهم منها شيء، معقدة وغريبة ومن ثم تبدأ هذه
السطور في التحسن، حتى تصبح واضحة كل الوضوح لمن
يود القراءة، وبعدها تخرج كل أفكار العقل المتخبطة لتندمج
وتمتزج مع حبر القلم، ويُترك الأمر ها هنا للقلم وحده،
فيكتب ما يريد ويتحرك كيفما شاء ويصبح مكانه المفضل
بين إصبعيك، فيتحرك ويكتب عن الشوق والحب تارةً،
وعن الألم الذي يفتك القلوب تارةً أخرى، ويكتب ويكتب
وهو لا يدري أن كل يوم يزداد تعلقه بقلمه عن اليوم الذي
يسبقه، وتتكون سطور صلبة، لغة سليمة لا اعوجاج فيها،
يُنصت إلى ألحان الحياة فيكتب عنها، ويتوغل بين أحضان
الطبيعة، فيكتب عن السماء المزينة بالنجوم ويتصدرها
القمر المنير، عن الغيوم التي تشبه "غزل البنات" عن
الأشجار والأزهار، يُنصتُ إلى الأنين الصادر مز القلوب في
وحشة الليل، فيرثي لحالهم ويكتب عنهم، يرى الأرواح

المتمزقة إثر سنة الحياة "الفراق" فيبكي لهم ومعهم حتى تتورم عيناه، ويكتب لنا سطورًا تصف حالهم، تُلامس القلوب وتمر بخفة كشيء لطيف بجناحين، يُحلق في السماء كفراشة بين الزهور حتى يرون ما كُتب، وينتابهم شعور أنه كُتب لأجلهم، فيقول هذا وجدتُ نفسي بين سطور فلان، وذاك وجدت نفسي بين سطور آخر، إن الكاتب الحق هو من عبر بِصدق قلبه وقلمه عما يراه، لا داعي للصراع مَنْ يكتب أفضل مِنْ مَنْ، لا داعي للابتعاد عن اللغة النورانية واللجوء إلى لغة تشمئز منها النفوس لأجل الشهرة، لا داعي أن يُصبح الجميع كتَّاباً، ممكن أن تكون قارئًا أفضل من أي كاتب، لا داعي لاختلاس سطور وكلمات كتبها غيرك، لا داعي لكل هذه الأمور السيئة.

من استيفن إلى ماجدولين؛ اتحدت الحروف فتكونت الكلمات وتشابكت فاتضحت لي السطور، بدا لي القمر في وضح النهار، مرت ساعة الغروب وانتهت وساد



الظلام، هذا ليل طويل وهادئ، قلم وورقة، أظن أن هذا كل ما أحتاج لكي أكتب إليك.

مر أسبوعين وخمسة أيام منذ أرسلت رسالتي لا بد أنها قد وصلت إليك، فلمَ لم ترسلي إليَّ برسالة تطمئن قلبي الذائب في سائل الخوف، هل نسيتِ يا ماجدولين من هو استيفن؟ أحقًا سقطتُ من ذاكرتكِ سقوط الأوراق في فصل الخريف؟! إن قلبي الآن معلق بين حبلين قويين، حبل من الخوف وآخر من الرجاء، أخاف عليكَ ومنكِ، خائف ألا تكوني بخير، وخائف أن أكون سقطتُ من ذاكرتكِ بالفعل، ونسيتِ العهد الذي قطعناه سوياً فتتركيني وحيدًا، وأما الرجاء فلا أرجو سوى أن يكون قلبكِ بخير يا ماجدولين غير منشغل بما يؤلمه. صحيح أنني لم أُقبل للعمل في الجريدة التي حدثتكِ عنها، ولكن الأجر الذي أتقاضاه من المدرسة بإمكانه أن يوفر لنا كل ما نحتاج، أعلم أنكِ لا تنظرين إلى مثل هذه الأمور من زينة وغيرها، ولكني سأحاول حتى لا تشعري يوماً بأن شيئاً ينقصكِ عن الفتيات حولكِ، سأبحث



عن السعادة حتى نحيا معاً على ضفافها ولا شيء مرسوم على شفتينا سوى الابتسامة.

أرجو أن تجيبي على رسائلي يا ماجدولين حتى يطمئن قلبي، ولا تتركيني للخوف ينهش جسدي، وفي الختام أحبكِ كثيراً.

من استيفن إلى ماجدولين؛ بعد كتابة آخر رسالة إليكِ، جاءتني رسالة من قريب لي في كوبلانس، يقول إنه مريض ويحتاج إلى من يقوم على رعايته، فاستأذنت من المدرسة وقد منحتني يومين وذهبتُ إليه، فوجدته طريح الفراش، فأدركتُ لما قال أريد أحدًا يقوم على رعايتي، صحيح أن المدة التي منحتني إياها المدرسة كانت صغيرة جداً، ولما انتهى اليومين بعثت إليها برسالة أطلب فيها مد هذه الفترة ولكني فوجئت بفصلي من المدرسة، وأنهم ليسوا بحاجة إليَّ، فأدركني الحزن وحزنتُ لهذا حزنًا عظيمًا، ومرت عليَّ عدة ساعات وأنا لا أدري فيها أي شيء يدور حولي، أصبتُ



بالذهول وكأنما أنا جالس في عالم آخر أُطالب بالعدل بتوقف الحرب، أمد يدي فترتد إليَّ خائفة أن يبترها أحدهم، وكأنما أتخبط بين السماء والأرض أطلب الرحمة من السماء فيهبط جزءٌ منها على الأرض، وترفض أن تنزل في قلب أحد؛ نظرًا لتخلي الإنسانية عنّا ولم يتعرف عليها أحد حينما هبطت، ولقد رأيت في هذا المريض أمامي أن المنية ظفرت به، وسمعتُ ألحان الموت فأتتني فكرة لا أدري من أين جاءت، ولكن وجدتني أقوم بعد منتصف الليل فأبحث بين خزانته عن المال

وأريد سرقته، وفجأة ارتجف قلبي وذعرتُ حينما وجدت من يريد التشبث برجلي، ويقول من هنا؟ فإذا هو ذاك المريض قد فاق من غفلته، فضربته على رأسه فسقط على الأرض جثة هامدة، لقد قتلته، أنا قاتل!

في هذه اللحظة ذهب عني الذهول وأدركتُ كل ما يحدث حولي وما فعلته، وما كنت على وشك القيام به، لن يعرف



أحد أنني من قتلته، وهذا ما روح عن نفسي قليلاً، وجلستُ مُنكبًا على وجهي أذرف دمعاً والدمع يتحدث إليَّ لا تتوقف عن البكاء، ابك ما دام البكاء يريح قلبك، فبكيتُ حتى جفت مقلتاي، ومرت من أمامي حياتي بأكملها، وتذكرتُ كل شيء حتى تذكرتُ الساعة التي خرجتُ فيها من رحم أمي، فوجدتها تنظر إليَّ والابتسامة على شفتيها وبريق الفرحة يتلألأ في عينيها، وتذكرتُ كم كنت أحبها، وكيف فرقنا الموت. تذكرتُ حينما كنت في العاشرة من عمري ووضعت أمي أخي أوجين فحملته بين يدي أداعبه ويبتسم لي.

تذكرتُ أيضاً أن الموت قد أخذه مني هو الآخر، وتذكرتُ أبي الذي تركنا بعد وفاة أمي وتزوج من أخرى وانشغل بحياته وتركنا أنا وأوجين وكأنما لسنا أبنائه.

تذكرتكِ يا ماجدولين، وتذكرتُ أول مرة رأيت وجهكِ فيها، ومرت من أمامي تلك الساعة التي أحببتكِ فيها



وعلمتُ بالحب الذي تحملينه في قلبكِ لأجلي، وعلم والدكِ فلم يوافق على هذا وطردني من البيت بعدما كان يقول أني صديقه، تذكرتُ حينما ذهبت إلى كوبلانس حينها وأخبرت أبي بما أريد، فسخر مني أمام الجميع وأراد مني أن أتزوج من تلك الفتاة التي تنتمي لعائلة غنية يعلمها الجميع، يقول أنه ليس عليَّ أن أضم فقري إلى فقركِ، وعلى كل منا أن يبحث عن سعادته بعيدًا عن الآخر، تذكرتُ أني ذهبت إلى بلدة أخرى واستضافني معلمٌ لي، وكان يأخذني معه لأحضر دروس الموسيقى، ولما سمع موسيقاي التي أعزفها كان يود مني ترك كل شيء والاتجاه نحو الموسيقى، ولكني رفضتُ وعملتُ بالمدرسة التي فاجأتني بخبر فصلي منها، أظن أن حياتي رواية جيدة يجب أن يكتب أحد ما عنها وعني.

اختفى الظلام وبدأت شمس يومجديد في الظهور، وحضر أقرباء الميت وورثته وأتموا مراسم الدفن، وعدتُ إلى تلك الغرفة الصغيرة التي كنت قد اتخذتها مأوى لي، وجلست لا

أعلم ماذا أفعل ولا حتى أين أذهب، حتى وصلتني رسالة من أقاربي في كوبلانس يقولون إن المريض الذي مات بالأمس تركَ لي كل ما يملك "عشرين ألف فرنك آخذها في الحال، وعشرة آلاف أخذها في نهاية كل عام" فرأيت الحزن يغادرني، وذهب عني المرض الذي كنت أكابده منذ قليل، وراح قلبي يخفق بشدة ويحلق فرحًا وسرورًا، الآن أستطيع فعل كل شيء لأجلكِ يا ماجدولين.

مرّ عامين شيد فيهم استيفن البيت الذي حلم به وهو ماجدولين في تلك الليلة، وذهب إلى بيت الشيخ مولر يطلب منه أن يزوجه ماجدولين، دخل إلى الحديقة أولاً وكان يحسب أنه سيجد ماجدولين تجلس تحت الشجرة التي حفرت اسمها عليها، لكنه صُدم مما رأى، إذ رأى ماجدولين تجلس وبجانبها إدوار يضمها إلى صدره، ويمسك بيديها بين يديه، وما إن رأته حتى وقفت وظهرت علامات الفزع على وجهها، وانتزعت يدها من إدوار ونظرت إلى استيفن وكأنما رأت ملك الموت فجأة.

- ماجدولين، ما هذا الذي أراه؟

ومشى خطوات بسيطة ليأخذ بيدها، فوجد خاتم في يديها ليس ذاك الذي نسجته من شعره وكانت ترتديه إكرامًا له، حينها توقف مكانه ولم يتقدم خطوة واحدة، ووقف يُحول نظره بينها وبين إدوار الذي قام وأخذ بيد ماجدولين مرة أخرى، وقال لاستيفن:

بأي حق دخلت هذا البيت هكذا؟

استيفن: أخبرني أنت بأي حق تجلس هنا وتمسك بيد ماجدولين هكذا؟!

إدوار: إن ماجدولين خطيبتي، وستُقام حفلة الزفاف في الأسبوع القادم فإن شئت أتيت.

نظر استيفن إلى ماجدولين وكادت السماء أن تبكي على حال استيفن في هذه اللحظة، تمنى لو أن تكون هذه إحدى دعابات إدوار، ولكنها لم تكن كذلك، تمنى لو تتحدث ماجدولين وتُكذب ما قاله إدوار، ولكن ابتلعها الصمت

المرير، رحلت ماجدولين وإدوار من أمام استيفن وهما يتبادلان الضحك وكأن شيئاً لم يكن.

يقولون إن الحب هو الداء الوحيد الذي يستلطفه القلب، ولذا قيل في تعريف الحب: إنه داء لطيف.

الحب إن كان متبادلًا فإنه يجعل كلًا من الطرفين يشعران بسعادة غامرة، وكأن القلوب حين تشعر بالحب، تُحلقُ بخفة في السماء فرحة كفراشة صغيرة تطير بين الأزهار، وإن كانت الأزهار رقيقة للغاية ويمكن أن تذبل وتموت في أي لحظة، فمثلها القلوب، بل إن البعض يملكون قلوبًا أرق من الأزهار، وإذا أصيب المرء بخدش صغير في قلبه فإنه يتألم، ولكن لا يشكو حتى يظن الجميع أنه معافى من كل شيء يخدش القلب ويؤلمه، فيُلقي هذا على مسامعه بكلمة وآخر يقابله بسوء، وذاك يقابله بخذلان وعائلته بالصفعات المؤلمة، فتتحول هذه الخدوش إلى ندوب وتكبر هذه الندوب ويصبح في القلب ثقب كبير، وعلى عكس جميع الثقوب لا



يبتلع هذا الثقب شيئاً بل ينزف، ويتذكر العقل الكلمة السيئة التي ينزف لها القلب ولا يستطيع شخص واحد في هذا العالم أن يجعل هذا الثقب الكبير يلتئم، ويضمده بعناية حتى لا ينزف مرة أخرى، سوى المحب لحبيبه، وكذلك السعادة فلن تجد أحد يمنحك إياها إلا من يحبك، فمن يُحبك يزيل عنك شقاء الدنيا وهمومها، ويمسح الدمع المنهمر على وجنتيك طوال الوقت، ويمسح الألم عن قلبك، وهكذا تلتئم الجروح.

وإذا كان الحب من طرف واحد، فالطرف المحب هنا هو صاحب الوجه البائس الكئيب دائماً وأبدًا.

يقول محمود درويش: هناك من يرى الحب حياة وهناك من يراه كذبة وكلاهما صادق، فالأول التقى بروحه والآخر فقدها.

أما من منظوري هذا، أرى أن الحب أنقى من قطرة المياه الصافية، أطهر من الزهرة الملونة، الحب هو أن تجد روحًا



تألفها وتألفك فتتحدا، ويصبح المحبان شخصين بروح واحدة، الحب هو أن تقدم الوفاء لمن تحب حبيباً كان أو صديقاً أو أخاً أو أماً أو غير ذلك، الحب هو أن تُضحي بكل ما تملك وبكل ما لديك حتى تحيا روح الطرف الآخر بسلام، الحب أن تُبذل كل ذرة جهد داخلك في إسعاد روح من تُحب، الحب هو العطاء والمسامحة والعتاب لا البخل وغير ذلك من الصفات الكريهة، الحب هو إحساس طاهر لا يمت للنفاق بأي صلة كانت، وفي النهاية نحن البشر أقل من تعريف الحب ولكن علينا أن نعرف أنّ الحب شيء مقدس لا يجب نعته بأي صلة دنيئة، الحب هو الأطهر، الأنقى، الخالي من الدنس.

في بعض الأحيان بل في كثير منها يكون الحب ممزوجاً بالحزن، صحيح أن الحب لا يمكن أن تشوبه شائبة، إلا أن الحزن يمكن أن يكون شائبة الحب الوحيدة، حيث يمتزج بالحب ولا يحلو الحب دونه، ولقد قيل في تعريف الحب أنه: الألم الذي يسكن القلب بعدما يخفق بالحب.

عندما يحب المرء بكامل قلبه وعقله فإنه من الممكن أن يتألم إذا حدث وأخطأ الطرف الآخر في شيء ما، ولكنه سيلتزم الصمت؛ الصمت المرير القاتل للحب العظيم، والخطأ الفادح الذي يقع فيه الكثيرون، يُقال أن أهل الحب يرتكبون الحماقات ولا ينتبهون إليها، ولكن الصمت هو أكبر الحماقات التي يرتكبونها، لو أن كل من يشعر بالألم يشتكي، وكل من يشعر بالحزن، يُحدث من يحب عن حزنه، لو أنك شعرت بالألم في رأسك فوجدت كتفاً بانتظارك لتميل عليها أخبرني هل ستفعل أم لا؟

في الليل تكثر الشكوى والمناجاة، تتجمع الأحزان وتتكتل كتلة واحدة وتهبط على العقل فتجعله يتألم، غيوم تتكاثف فوق بعضها البعض وتتشكل ككتلة من الصلب، ولكنها تسير وتدور في السماء عندما ترى أحد الطيبين قد وقع به ضر ما أو أصابته مصيبة، وضاقت به الأرض ذرعاً، وتتألم روحه وتتساقط دموعه مثل حبات اللؤلؤ المنثورة على وجنتيه، فيبتلعها بغصة ومرارة حينها تسقط قطرة ماء من

تلك الغيوم فتهبط على الأرض، وبعدها تتوالى القطرات واحدة تلو الأخرى وكأنها تبكي لشدة حزنها وشفقتها على هذا الطيب، فتتساقط قطرات الماء على رأسه فيشعر وكأن شخصاً ما ذو جناحين يطير فوق رأسه، فيمسح على رأسه ويهمس في أذنه إن السماء تبكي لبكائك أيها الطيب، فيشعر براحة تغمر قلبه من حيث لا يدري، وكأن ملكاً هبط من السماء فشق صدره وانتزع قلبه فمسح عليه وانتشل منه الخوف من ذلك المستقبل البعيد، ومحى ذلك الماضي القريب ومن ثم أعاده مكانه برفق وكأن شيئاً لم يكن، فتسطع الشمس وكأنها قرص من الذهب الخالص فتنشر الدفء وتبعث الحرارة في نفوسنا، ولكنها أيضاً تفتك ببصر أولئك المتكبرين الذين يأخذهم الغرور فينسيهم أنفسهم، وأنهم بيد الله يحركهم كيفما شاء، فيقولون كل امرئ منا حر في أمره ،يقول ما يريد ويؤذي قلوباً لا ذنب لها، ويظلم بعض الضعفاء ويأكل مال اليتيم وحق الفقير، فمن سيوقفنا الآن وينظرون إليها رافعين رؤوسهم بشموخ،

وتمتلئ أفواههم بالضحكات فتدمر أشعة الشمس أعينهم،
وهذه تكون أول المصائب الساقطة عليهم وبعدها يُسلط الله
عليهم شهباً تحرقهم وتقذف بيوتهم بنار من هاوية، بعدها
يأتي الليل فيعم الأمكنة وينتشر الهدوء بين الخلائق وكل
منهم منهمك في أمره، منهم من يناجي الله أن ينسيه كل مر
أذاقه وينسيه مرارة فراق شخص عزيز قلبه، ومنهم من يقيم
الليل واقفاً على قدميه وعيناه تذرفان الدموع، فتتساقط
موضع سجوده فيبيت ليلته مغفوراً له، والبعض يقف في
شرفته يناجي القمر ويروي له قصته مع تلك الفتاة التي
أوقعته في غرامها، ويقول أنه حينما رآها للوهلة الأولى شعر
بميل نفسه إليها وبعدها صار يتغزل فيها بين الفينة
والأخرى، ومن ثم تخطى مرحلة اللهو هذه فلامس الحب
الغشاء المحيط بقلبه ليحميه، لكن هذا الغشاء لم يصمد
طويلا أمام هذا الحب فانشغل القلب وانشغلت النفس
بالمحبوبة، وبعدها بات مولعاً بالحب ولم يكتفِ بهذا فحسب،
بل أصبح يتأوه من فرط الحب وازدادت شهوته تجاه محبوبته

الوردية، وهو في كل ليلة يناجي طيف معشوقته، ويروي له أيضاً عن شدة تعلقه بها، فأصبح كظل لها حيثما تذهب يتبعها ولا تفارقها عيناه، وأنه شخص كان يعاني من ألم الحب وشعر باستكانة الحب في قلبه من ذل وخضوع أمام معشوقته، وتحول كل هذا الشوق إلى حب خالص رقيق صافٍ كما هي تلك الفتاة تماماً، وأنها أشد الناس مقربة لقلبه وقد وصل حبه لها إلى ذروة القلب بل إلى جوفه، ولم يشاركها في تلك المكانة أحد، وبعدها لم يعد يستطيع التخلص من حبه لها ولا الابتعاد عن من يتوق شوقاً لرؤيتها أمام عينيه كل لحظة تمر عليه، فاستولى الحب على قلبه واحتله كما يحتل الغزاة الأراضي المقدسة، جعله هذا الحب كشخص تم تخديره كلياً تجهيزاً لإجراء عملية ما، والآن قد سيطر عليه الهيام، فهو يشعر بالجنون في حبه لها، يشعر وكأنه يريد أن يشق صدره فيختطف تلك الفتاة ويخبئها داخله فتلازمه وتصبح له وحده، وآخر قد أتى عليه الليل وهو يتنهد تنهيدة طويلة إثر قراءته آخر سطر من قصة حب

كان يعيش بداخلها منذ قليل، وكأنه أحد أبطالها وهذا الشخص هو أنت عزيزي القارئ.

وهنالك من يمضي الليل يكتب، لا بئس في الوصال والبذخ في المشاعر والحب تحت ضوء القمر الذي ينير الطرقات والدروب حينما يحل الظلام، أو تحت قرص الشمس ذات الأشعة الملتهبة، لكن بعدما تنخرط في الحب وتنهمك في البوح بمشاعرك وبما يتجلجل في أعماق قلبك، ستتربص بك النفوس المليئة بالشر والحقد المدفون في قلوبهم منذ ولادتهم، ستجدهم حولك كل منهم يريد خداعك بكلمة ما، ويُلقي الرعب بداخلك فترتجف أوصالك ويُصاب عقلك بسحر التفكير، فتنام وعقلك مليء بالأفكار التي تُصيبك بالحمى الشديدة، فترتمي في أحضان في والدتك وتقول لا تتركيني أماه فلم يعد لي ملجأ أو مأوى سوى حضنك فلا تتركيني وحدي، فتسهر إلى جانبك وتحاول إعطائك الدواء الخافض للحرارة، لكنك ترفض وتقول وأنت لا تشعر بما تتفوه كنت أحبها يا أمي، وعدتني ألا

تتركني لكنها فعلت وودعتني عند مفترق الطريق، حبها كان ينير لي بصيرتي، والآن أصبحت كعجوز فقد بصره من شدة البكاء، أيمكن أن ترجع فيرتد إليَّ بصري كما ارتد بصر يعقوب إليه عندما أُلقي على وجهه بقميص يوسف، لم تترك لي أي شيء يُذكرني بها أخذت كل شيء معها لا زلت أُفتش وأُفتش بين أشيائي علني أعثر على شيء ما قد لمسته يداها الخجولتان لكنني لم أجد، جفت مُقلتي يا أمي لم أكن يوماً قاسياً في المشاعر وبطبعي لم يكن بداخلي أي جفاء يجعلها تبتعد عني، حتى عند الوداع لم أستطع رفع يدي وأُلوح بها وأقول وداعاً بعدما كنت أقول دائماً إلى اللقاء، الكلام قد نفد والحبر قد جف والورق لا زال يُكتب عليه لكن بدموعي ودمي أحيانا، ثورة الحب لم تهدأ ولم تنطفئ داخلي، بل هي مشتعلة أكثر من ذي قبل، روحي تسافر إليها وتبحث عنها كل ليلة فلا تلقاها، لا زال كل شيء كما هو حتى أكواب القهوة لا زالت تنتظر عودتنا حتى نحتسيها معاً فلا نشعر بمذاقها المر، ذلك النجم الذي استمع

إلى كل حديث دار بيننا أخبرني أنه ينتظر عودتنا إليه معاً؛ لأنه يفتقد جلوسنا ونحن ننظر إليه وننتظر طلته، لا زلت أحتاج إلى عناقها الدافئ الذي كان يغمرني بالراحة في كل مرة نلتقي فيها، هناك المزيد والمزيد من كلمات الترحيب التي لم أخبرها بها بعد، لم أحمل لها يوماً بين راحتي سوى الحب والصدق، لقد قالت قبل رحيلها أن الصادق لا يملّ من الانتظار، أنا لم أملّ يوماً من انتظارها ولم يخترق اليأس مضغتي، لم أظن يوماً أنني متشبث بحبل قد يتفتت بمرور الوقت، الحنين بداخلي قد فاض ولو أن له قدمين لسار عليهما بحثاً عنها حتى بُترت قدميه، فيزحف زحفاً حتى يهلك فلا يستطيع الحراك، فيقفز قلبي إلى الخارج وتنسحب روحي من جسدي المتهالك ويفترق كل منهما في طريق يُفتش عنها، وكل منهما يريد أن يُعوض ما قد ضاع من سنوات عدة، صوت كل منهما وهو يزأر كالأسد ويعلن أنه لن يمل من البحث عنها يتردد صداه في أذني، أسمع صوتها هي الأخرى تقول أنا هنا، فأبحث عنها ولا أجدها

وعندما تستيقظ في الصباح وتذهب عنك الحمى وتسألك والدتك عن ماذا كنت تتحدث، ولما كل هذا الألم والحزن، فتقول أن هذا لم يكن سوى هذيان ناتج عن الحمى، لكن هذا لم يكن هذيان إنها الحقيقة، سحقاً لداء التفكير والإفراط فيه الذي لن يتركنا حتى نهلك.

لكن عند الوقوع في الحب فإن الليل يختلف؛ يزورك الحنين ويفيض الشوق من قلبك، تذكر كلمة الحب فتداعب الابتسامة شفتيك ويلمع ذلك البريق المتلألئ في عينيك، إنها للحظات دافئة تدرك المرء ليلًا.

عندما يمر المرء بأشد اللحظات ألمًا ويمتلئ قلبه بالمعاناة، في هذه اللحظات يولد المرء من جديد، من جوف الحزن ورحم المعاناة، وبعد ظلمة الرحم يولد داخلك عدة مشاعر مختلفة تمتزج مع بعضها البعض فيخرج للعالم شيءٌ جديدٌ.

إن استيفن بعد مروره بمعاناة الحياة وتخلي والده عنه وتركه ليتذوق الشقاء، ثم ماجدولين التي أحبها بإخلاص وفي

النهاية لم تكن له، لم يستطع تحمل كل هذا فبدأ بالعزف والانعزال في منزله، لا يخرج سوى لمقابلة صديقه فرتز، ويعود من جديد لقيثارته، وكانت موسيقاه من جوف الحزن الذي ينهش قلبه بلا رحمة أو جزع، فتمكن من الموسيقى ومكنته هي منها، فكان معجزة العصر بعد بيتهوفن، وشهد الجميع أن موسيقاه هي الأفضل على الإطلاق، ولقد شغلته الموسيقى عن ماجدولين والتفكير بها حتى سمعت عنه وما وصل إليه، فأرادت أن تسمع تلك الموسيقى، ولقد رآها استيفن في ذلك اليوم ولم يتأثر لرؤيتها، أو هكذا ظنت هي، وخسر إدوار كل ما يملك من مال فاستقبله استيفن في بيته، ثم رحل إدوار بعيداً تاركاً ماجدولين وهي تحمل في أحشائها شيئاً منه، وذات يوم أتاها خبر انتحار إدوار إثر علمه بإفلاسه، وترك الديون التي عليه لماجدولين ومن تحمل داخلها، ولقد ذهبت ماجدولين بعد ذلك لاستيفن تطلب منه أن يسامحها، وأوشك أن يعانقها ويغفر لها حتى تذكر قولها لإدوار أنت حياتي الذي لا حياة لي بدونك، فتركها

تسقط أرضًا، وفي اليوم التالي جاءت وتركت ابنتها أمام بيته وبجانبها كتاباً مملوءاً بالخطابات التي كانت تكتبها ولا ترسلها إليه، وذهبت لتلقي بنفسها في البحر وفي هذا الوقت كانت جوزفين زوجة فرتز آتيه إليه تسأله أن يزورهم، فلما دخلت أخبرت استيفن بما قالته، فخرج مسرعًا ووجد الفتاة وبجانبها رسالة تخبره ماجدولين أنها الساعة الأخيرة لها في هذه الحياة، ولا تفكر إلا به، فأدرك ما تريد وذهب إلى البحر ليُلقي بنفسه ويبحث عنها، ولكن حينما عثر عليها كانت المنية قد ظفرت بها، فأخذها استيفن إلى بيته وأرقدها على السرير الذي كان معداً لها يوم زفافها، فأصبح لحدها في النهاية.

ظل استيفن شاحب الوجه بعدها لا يعلم أي شيء يحدث حوله، وفي يوم زاره الكثير من الذين سمعوا عن موسيقاه، ولقد عزف لهم في تلك الليلة لحن الموت حتى مات بعدما انتهى من عزفه، وزهقت روحه كما زهقت روح بيتهوفن بعد عزفه للحن الموت.



ظلت جوزفين تقرأ حتى انتهت، ومكثت مدة طويلة تحاول استيعاب ما قرأت.

جوزفين: إذًا استيفن ذاك هو صديق جدي فرتز، لقد فهمت الآن كل شيء وفهمت لما اختار لي جدي هذا الاسم؛ لقد اختار لي جوزفين لأنه كان يحب جدتي جوزفين، ولأمي اسم ماجدولين كي تحمل اسم والدتها، وأخي استيفن ليحمل اسم صديقه، وأمي هي تلك الفتاة الصغيرة التي تركتها ماجدولين أمام بيت استيفن. ذهبت جوزفين لاستيفن وسردت عليه كل شيء قرأته، وما توصلت إليه حتى فغر استيفن فاهه وقال: أتقصدين أن ذلك المنزل الذي هو ملك لجمعية الموسيقى الملوكية في برلين ويحتفظون به تذكارًا، هو ذاته الذي بناه استيفن، وقبر استيفن وماجدولين الذي كان جدي يزوره كثيراً هو لهما؟

جوزفين: أجل.

استيفن: تعالي معي.



جوزفين: إلى أين؟

خرجا من الغرفة وذهبا إلى غرفة برنار وماجدولين الملحقة بغرفتهما، ودخل استيفن وهو يمسك جوزفين في يده وقال: أبي نود الذهاب إلى منزل استيفن الذي يحكي الجميع عنه،.نظر برنار إلى ماجدولين بدهشة، وقالت ماجدولين: ولَمَ تودان الذهاب إلى هناك في هذا اليوم؟

جوزفين: لا شيء، سوى أننا تذكرنا أن جدي كان يذهب إلى هناك دومًا، فأردنا أن نعلم ما سبب ذهابه إلى هناك كثيراً.

لم يبدُ على برنار وماجدولين الاقتناع ولكنهما وافقا على طلبهما.

دخلت جوزفين واستيفن المنزل الكبير، ورأوا أثر ذلك التاريخ الذي دونه الشاعر "سيدروف" رأوا الحديقة وأزهار البنفسج المنتشرة في أنحائها، والحوض المقام في وسطها والسياج الدائر من حوله، والمقعد الذي جلس استيفن

وماجدولين عليه ذات ليلة، والغرفة الزرقاء التي كانت غرفة عرس ماجدولين أولًا، ولحدها أخيرًا، والمكتبة التي كانت مأوى لاستيفن يكتبه فيها أولاً خطاباته إلى ماجدولين، وأخيراً يعزف فيها على البيانو الذي وقع عليه في ساعته الأخيرة "لحن الموت".

وبعدها خرجا إلى القبر وبللت دموعهما تربته إكرامًا لهذا الحب العظيم، وقالت ماجدولين: سأُلبي رغبتك أيها الحبيب الشقي استيفن وأكتب عن حياتك رواية تاريخية يذكرها الجميع ويقرئونها.

،،،،،،،



بعد مرور عدة أشهر...

هل قصة ماجدولين هذه حقيقية؟

- أجل ولا تزال برلين تحكي عنها حتى الآن.

- هل نهاية الحب دائماً الموت؟

- بل نهايته الفراق دائماً وأبدًا.

- هل علمت ابنة ماجدولين بهذه القصة فيما بعد؟

- بإمكانك أن تسألها هي ولست أنا.

- وهل هؤلاء الأشخاص في هذه الرواية يتحدثون إليَّنا حتى أسألهم؟

- ليس عليكَ أن تُصدق كل ما تقرأ في رواية "تحت ظلال الزيزفون" ولكن التمس اللطف الفائض من صفحاتها وتمنى حبًا عظيماً مثل ذلك الحب الذي ترويه سطور هذه الرواية.

- وما معنى تحت ظلال الزيزفون هذه؟





- إنها أشجار الزيزفون التي توجد أوروبا وآسيا ونصف الكرة الشمالي، وهي الأشجار التي كانت تجلس تحتها ماجدولين واستيفن في البداية، وهي من الأشجار المعمرة.

،،،،،،،

تنويه

هذه الرواية تُعد تكملة لِمَا بدأه المنفلوطي ولكنها لا تشبه أعمال المنفلوطي، وإنما كتبتها لأجله ولأجل حبي له، وهذه رسالة كنت قد كتبتها إليه ذات مرة.

يُحكى أن الحروف تعبر عن الحب فهذه حروف أخطها بقلمي أسوقها إليك، ولا أعلم ما عاقبة أن يكتب شخص مبتدئ مثلي لعظيم مثلك.

تعلمتُ من حروفك كيف أصفُ الحياة ببؤسها وآلامها فأنت معلم الوصف والسرد، حاول الكثيرون أن يصلوا إلى مكانتك في وصف الحياة والطبيعة فلم يصل أحد لأنك بلغت ذروة الوصف، أشعر أثناء حديثي معك وكأننا روحين نلتقي بين سطور الكتب، أسئلك وتجيبني بكلماتك الرائعة التي تجعل الإلهام يسري في قلمي وقلبي، أشكو إليك من الحياة وما أصابني من سوء فتخبرني أنه لا خير للمرء سوى

الوحدة، ولكن اليوم مختلف ورسالة اليوم مختلفة فأنا
اليوم أشكو إليك الإساءة ليس الإساءة إليَّ، بل
الإساءة إلى الأدب في هذا العصر، تضع الأم طفلها
بالأمس وتراه اليوم يخبرك أنه كاتب كبير، ومن حوله
بعض المنافقين يصفقون، له ليتك هنا لتعلمهم معنى
الكتابة كما علمتني، فأنا تعلمت منك كيف أقدس
الحروف وأنها ترتدي لباس الطهر دائماً وإن نزعه
بعضهم عنها، الحياة هنا زائفة يا صديقي وكلماتك
الوحيدة هي التي تهبط على قلبي فتجعله يستكين،
فقراء نحن اليوم، ليس فقر المال بل فقر التعلم
والاحترام، أردتُ دائماً لو أننا كنا في زمن واحد،
ألتقي بك وأتعلم على يديك، أصاحبك ليلاً ونهارًا،
أنال شرف القُرب منك ولكنه لم يُقدر لي هذا؛ لذا
أتخذ مما خلفته ورائك من حروف وكتب تتسم
بالفضيلة شمعة تنير لي طريقي، ألقي عليها النظرات
وبعض العبرات تذرف من عيني علها تبرد الشوق في

قلبي قليلاً، أحادثك كل ليلة وكأننا جنبًا إلى جنب، لم يُكتب لنا اللقاء في هذا العالم ولكننا نلتقي في عالم آخر ننجو فيه بأنفسنا فنناجيها ونذرف دموعنا، لا يرانا أحد ولا نرى أحداً، وهذا ما يُميز عالمنا الخاص يا صديقي، إليك يا معلمي وصديقي ومؤنس وحدتي زُرِع الحب في قلبي، فأحببتك وأحببتُ أن أكتب لك.

أعلم كل العلم أن حروفي قبيحة مقارنة بحروفك ولكن ما من طريقة نتواصل بها معاً سوى الكتابة، ولهذا السبب لم أتوقف ولم أبتعد عنها حتى الآن، وأذكر الجميع دائماً بقولك "الأدب حلي في الغنى، كنزٌ عند الحاجة، عونٌ على المروءة، صاحبٌ في المجلس، مؤنسٌ الوحدة تعمر به القلوب الواهية، وتحيا الألباب الميتة، وتنفذ به الأبصار الكليلة، ويدرك به الطالبون ما يحاولون"

ولنا لقاء آخر مع رسالة أخرى، أُعلمكَ فيها عن حبي لك، لا بكاء ولا شكوى من حياتي البائسة.




تحت ظلال الزيزفون


تمــت